بسم الله الرحمن الرحيم

الجهاد في سبيل الله

إعداد

خضير علي بشارات

سجن النقب

1425 هـ / 2004 مـ

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

2020م - 1442 هـ

اسم الكتاب: الجهاد في سبيل الله

المؤلف: خضير علي بشارات

رقم الإيداع:

ISBN 978-9950-329-66-9

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف يحظر طبع أو نقل أو ترجمة أو اقتباس جزء من هذا الكتاب دون إذن كتابي سابق من المؤلف, وأية استفسارات تطلب على عنوان الناشر .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	6
تقريظ الكتاب	7
المقدمة	9
الباب الأول: (الجهاد في سبيل الله)	12
الفصل الأول: مفهوم الجهاد في سبيل الله	13
الفصل الثاني: مفهوم التربية الجهادية	17
الفصل الثالث: الفرق بين الدفاع والجهاد	20
الفصل الرابع: مفهوم التهلكة	21
الباب الثاني: (مشروعية الجهاد في سبيل الله)	22
الفصل الأول: لماذا الجهاد في سبيل الله؟	23
▪ العمليات الاستشهادية	28
▪ الجهاد في العصر الحالي	29
▪ ذروة سنام الإسلام الجهاد	30
▪ أسباب الجهاد	31
▪ ضرورة الجهاد	32
الفصل الثاني: حكم الجهاد في سبيل الله	36
▪ حكم التخلف عن الجهاد في سبيل الله	39
الفصل الثالث: فضل العمل الجهادي	46
الفصل الرابع: الخليفة والجهاد	48

الفصل الخامس: أنواع الجهاد	49
الفصل السادس: آداب الجهاد	51
الباب الثالث: (التعبئة الجهادية)	53
الفصل الأول: الإعداد والقوة	54
الفصل الثاني: ركائز التعبئة الجهادية	58
الباب الرابع: (الحض على الجهاد)	61
الباب الخامس: (هدف الجهاد في سبيل الله)	84
الفصل الأول: غاية العمل الجهادي	85
الفصل الثاني: مدح العمل الجهادي	94
الباب السادس: (بين المجاهد والشهيد)	97
الفصل الأول: صورة المجاهد في الإسلام	98
▪ أحكام لا بد معرفتها للمجاهد	98
▪ صورة الشهيد عند الإمام حسن البنا	98
▪ مكانة المجاهد	99
▪ صفات المجاهد	100
▪ فضل المجاهد	102
▪ طبيعة الجهاد	104
الفصل الثاني: صورة الشهيد في الإسلام ومكانته	106
الباب السابع: (أعداء الله)	111
الفصل الأول: طبيعة الكافرين	112

الفصل الثاني: التجسس	114
الخاتمة	118
قائمة المصادر والمراجع	119

الإهـداء

إلى الذين قال فيهم سبحانه وتعالى :

"وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ" [1]

إلى من علمني أن الوطن لا يعطى هبة، إلى الذين سلكوا طريق النصر بدمائهم الزكية.

إلى الذين رسموا لنا الطريق نحو الوطن بالفكر الجهادي.

إلى الذين باعوا الدنيا رخيصة في سبيل الله .

إلى أصحاب الكلمات التي أضجّت كيان الصهيونية.

إلى القائد أبي سجى الذي زرع فينا روح الإقدام وبلا هوادة.

إلى أبي مروان الذي أرادنا جميعا مشاريع شهادة.

إلى الأسطورة الشويكي أبي يوسف الذي قهر المعسكر الصهيوني بفكره الجهادي.

إلى الجميل جاد الله الذي قتلته خيانة الجبناء.

إلى كل اللواتي ذرفن الدموع على ذكراهم عزة وإباء.

إلى أصحاب الكلمات التي أصبحت منارات لنا.

إلى من عشقوا الموت كما يعشقون الحياة.

إلى الشهداء جميعا أهدي هذا العمل.

---

[1] سورة آل عمران , آية : 169

تقريظ الكتاب

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، ورضي عن أصحابه، وبعد؛

فهذا كتاب بث فيه الباحث تجربته الجهادية التي تأقلمت في سجنه مدة من الزمن في سجن أنصار "3"، ويبدي وجهة نظره في قضية يقدسها المجتمع، وكيف أنها غدت ضرورة ملحة، لا سيما في هذا الزمن؛ إذ تكالب المعتدون على الأمة بوجه عام، وعلى الفلسطينيين بشكل خاص؛ احتلوا أرضهم، وشرّدوهم من ديارهم، دون أن تمتد إليهم يد العون تسعفهم، ولا بدعم يمكّنهم من تحرير بلادهم.

وإنه مما يشرح الصدر، ويُشعر بالطمأنينة؛ أن يجد أحدنا من طلابه من يبادر إلى اقتحام عالم البحث والتأليف، مزوَّدا بتجربة قاسية خاضها بنفسه، فما به حاجة إلى تكرار أقوال الآخرين، واجترار ما مضى من أمجاد الأمة، وذاك، لعمري عمل شريف: أن تفعل ثم تتكلم.

ويرى الباحث أن الجهاد إنما كان نتيجة حتمية للصراع بين الحق والباطل لما بينهما من تناقض، ولذلك كان على أتباع الحق ألا يتوانوا في مقارعة الباطل، ومن هنا جاءت حملة الباحث على المسلمين الذين توانوا في ذلك، فأصاب أمتنا الوهن؛ إذ "رضوا بأذناب البقر والزروع". ويترجم الباحث مشاعره قائلا: "ومن هنا نخر الظلم أضلعي وتشقق القلب ألما لما أصبحنا عليه من ضياع، فامتشقت القلم..... مستلهما آيات القرآن التي حثت على الجهاد، وما ورد في أمّات الكتب التي تناولت هذا الموضوع ككتاب في ظلال القرآن ومعالم في الطريق لسيد قطب، وكتابي , جند الله ، و الرسول_ صلى الله عليه وآله وسلم _ لسعيد حوى،

وكتب الإمام حسن البنا لا سيما مجموعة الرسائل، ويوسف القرضاوي في كتاب فتاوى معاصرة، وكتاب سلعة الله غالية لعائض القرني، وغيرها.

وقد قسم الباحث عمله إلى ثمانية محاور، فاستعرض مفهوم الجهاد والتربية الجهادية وفرّق بين الدفاع والتهلكة كما تناول موضوع التهلكة؛ ذلك لما يراه بعض الناس في الجهاد من إهلاك للنفس , كما تناول مشروعية الجهاد وأسبابه، وحكمه وحكم التخلف عنه، كما تكلم عن آدابه والإعداد له، والحض عليه، وغير ذلك مما له ارتباط به.

وهكذا فالكتاب مع أنه باكورة عمل الباحث؛ إلا أنه جاء مفعما بروح متحفزة، وعزيمة ماضية سرت في كل فصوله، نسأل الله أن يوفقه إلى ما فيه عز الأمة، وسؤددها، والله ولي التوفيق.

الموافق2006/12/26م

أ.د. يحيى جبر/ أستاذ علم اللغة بجامعة النجاح الوطنية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي له العزة في السماوات السبع والأرضين، الذي لا يعجزه شيء في الدنيا والآخرة القاهر فوق عباده، الحمد لله الذي جعل ميزان القوى بيد الحق ودونه باطل وسائر إلى الهلاك، والصلاة والسلام على النبي المصطفى المختار الأمين الذي جاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين من ربه وبعد؛

لقد كان الصراع الذي امتد منذ عصر رسولنا الكريم _صلى الله عليه وسلم_ بين منهجين متناقضين أحدهما يتمثل بالدين الإسلامي حيث الهداية والعدل والإحسان ومن ثم الجنة، وبين الكفر فيكون الظلم والاضطهاد والهتك والبطش في الحياة، ومن ثم النار وبئس المصير، لذلك وجب الجهاد في سبيل الله من فوق سبع سماوات؛ ليكون سلاح الفئة المؤمنة وسبيلها في مواجهة التحديات حيث يقول تعالى:" **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ**"[1]. ولكن هناك كثير من المسلمين توانوا في ذلك، فأصاب أمتنا الوهن حيث رضوا بأذناب البقر والزروع التي لا تغني عن رفع ألوية الجهاد ومقارعة الكافرين، فأصبحنا نعاني، وأول ما نعانيه ونواجهه هو كيفية إيجاد المؤمن الصادق في حمل رسالة الجهاد كما أراده الشرع؛ فكان الانحراف إلى الأهواء، واتخاذ القرار الجهادي بحسب ما يراه مناسبا لذاته، ومنسلخا عن تلك العقيدة التي غابت عن قلوبنا وفكرنا وأصبحنا عبيدا لحكومات لا تدين إلا بالكفر تحت مسميات كثيرة مثل الحرب على الإرهاب وغيرها.

ومن هنا إخوتي الأحباب فقد نخر الظلم أضلعي وتشقق القلب ألما لما أصبحنا عليه من ضياع؛ فامتشقت القلم وأحضرت الفكر الناصع بالعطاء لأكتب هذا البحث –والذي أسأل الله أن يكون متواضعا– مستلهما به كلّ آيات القرآن التي

---

[1] **الأنفال**: 65

حثت على الجهاد ومقارعة الكفر وأعوانه، حيث كان استمداد الكلمات من كثير من الكتب ذات الفكر الإسلامي المحض، وأذكر منها كتابي سيد قطب , في ظلال القرآن, ومعالم في الطريق ، وكذلك كان لفكر سعيد حوى موضع في هذا البحث وبخاصة كتاب جند الله، وكتاب الرسول_ صلى الله عليه وسلم_، وتطرقنا أيضا إلى كتب الإمام حسن البنا، منها مجموعة الرسائل، والدكتور يوسف القرضاوي في كتاب فتاوى معاصرة، وكتاب سلعة الله غالية للدكتور عائض القرني، وهناك كثير من الكتب لا مجال لذكرها.

ومع ذلك إلا أن طبيعة المرحلة ودقائق الظروف التي أحاطت بنا أثناء الكتابة جعلت هناك حائلا دون الكتابة التي يجب أن تكون، حيث السجن وظلامه كان الهم الأكبر للانشغال بكثير من الأمور التي حالت دون التركيز في خضم الموضوع والتوسع به بالشكل الصحيح، وكذلك فقر المعلومات وقلة الكتب مما كان له الأثر الواضح في هذا البحث.

وبحمد الله كان الموضوع على قدر من الأهمية والشمول والنجاح، فقد اشتمل على الكثير من الأمور الهامة، فقسمت البحث إلى ثمانية أبواب لكل باب فصوله المختلفة، فكان الباب الأول يعنى بالجهاد في سبيل الله وخصصت الفصل الأول لمفهوم الجهاد والثاني للتربية الجهادية والثالث للفرق بين الدفاع والجهاد أما الرابع فكان لمفهوم التهلكة.

أما الباب الثاني فقد احتوى على مشروعية الجهاد، فكان الفصل الأول لماذا الجهاد في سبيل الله؟ وكذلك العمليات الاستشهادية وأسباب الجهاد، أما حكم الجهاد والتخلف عنه فكان ذلك في الفصل الثاني، وكان فضل العمل الجهادي يدور في الفصل الثالث ومن ثم الخليفة والجهاد في الفصل الرابع، أما أنواع

الجهـاد وآدابـه فكانتـا فـي الفصـل الخـامس والسـادس, وبعـد ذلـك نسـلك فـي بـاب التعبئـة الجهاديـة حيـث الإعـداد والقـوة فـي الفصـل الأول، وكانـت ركـائز التعبئـة فـي الفصـل الثـاني، أمـا الحـض علـى الجهـاد فقـد كـان ركيـزة البـاب الرابـع، ومـن ثـم كانـت الانطلاقـة للبـاب الخـامس حيـث الهـدف مـن الجهـاد، فكانـت الغايـة فـي الفصـل الأول, أمـا المـدح للعمـل الجهـادي فكـان فـي الفصـل الثـاني، أمـا البـاب السـادس فملـئ بصـورة المجاهـد فـي الفصـل الأول، حيـث المكانـة للمجاهـد وطبيعـة الجهـاد وصـفات المجاهـد, أمـا صـورة الشـهيد فكانـت فـي الفصـل الثـاني , إلـى غيـر ذلـك حيـث النهايـة بكتابـة البـاب السـابع فكـان الحـديث فيـه عـن طبيعـة الكـافرين ومكـرهم فـي الفصـل الأول وظاهرة العمالة والتجسس في الفصل الثاني.

وبنـاء علـى ذلـك فقـد كـان الحـديث شـائقاً ويهتـز إليـه شـعور القـارئ، والمحـدق بـه إن شـاء الله سـيجد ذلـك بـين كلمـات عمـدت بآيـات الله وأحاديـث نبيـه الكـريم، وفـي النهايـة اللهـم إنـي أسـألك خيـر العمـل وخيـر العلـم، وأن تتقبـل منـا أعمالنـا؛ وربنـا آتنـا فـي الـدنيا حسـنة وفـي الآخـرة حسـنة وقنـا عـذاب النـار" وصـلى الله علـى نبينـا محمـد وعلى آله وأصحابه الأخيار وسلم تسليما كثيرا.

18 ربيع الأول 1425هـ / 7 أيار2004م

أنصار "3 "

أ . خضير بشارات

الباب الأول: (الجهاد في سبيل الله)

- ✓ **الفصل الأول: مفهوم الجهاد**
- ✓ **الفصل الثاني: مفهوم التربية الجهادية**
- ✓ **الفصل الثالث: الفرق بين الدفاع والجهاد**
- ✓ **الفصل الرابع: مفهوم التهلكة**

الفصل الأول: **مفهوم الجهاد**

الجهاد لغة: جهد في الأمر – جد وتعب، جهد: بلغ جهده– جهد: بلغ عيشه، صعب واشتد ونكد، أجهد علينا العدو– جد في العداوة، جاهد مجاهدة وجهادا: بذل ومشقة ومن القرآن: "**وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ**"[1]، والعدو: قاتله محاماة عن الدين، والأصل بذل كل منهما جهده في دفع صاحبه، تجاهد واجتهد في الأمر: جدّ وبذلَ وسعه، اجتهد في الأمر: تبصر وتنبه له، الجهد والمجهود: الطاقة والاستطاعة، يقال: بذل جهده ومجهوده أي الطاقة ومن القرآن:" **أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ** "[2]، أي بالغوا في اليمين واجتهدوا[3].

فقد كان الحديث عن الجهاد ولا يزال أهم ركيزة يعتمد عليها محترفو الغزو الفكري في خلط الحق بالباطل وفي محاولة فتح ثغرات في هذا الدين الحنيف بغية التشكيك فيه والنيل منه؛ لهذا علينا توضيح هذه الكلمة؛ فالرسول بذل الجهد في سبيل الله وفي سبيل إعلاء كلمة الله وإقامة المجتمع الإسلامي، وبذل الجهد بالقتال نوع من أنواعه[4].

فالجهاد هو بذل الوسع في القتال في سبيل الله مباشرة، أو معاونة بمال أو بكلمة، فالقتال لإعلاء كلمة الله هو الجهاد، أما الجهاد بالرأي في سبيل الله فهو إن كان رأيا يتعلق مباشرة بالقتال في سبيل الله فهو جهاد، وإن كان لا يتعلق بذلك مباشرة فليس جهادا شرعا ولو كانت فيه مشقات ، ولو ترتب عليه قواعد لإعلاء كلمة الله؛ لأن الجهاد شرعا خاص بالقتال ويدخل

---

(1) **الحج** : 78 .

(2) **المائدة**: 53 .

(3) **المنجد في اللغة والأعلام**، 105.

(4) محمد البوطي، **فقه السّيرة**، 110.

فيه كل ما يتعلق مباشرة بالقتال، ومثل ذلك , الرأي والكتابة والخطابة إن كانت متعلقة مباشرة بالقتال, الخطبة في الجيش , لتحميسه ويباشر القتال أو مقال تحريضي , لقتال الأعداء فهو جهاد وإلا فلا ، وبناء على ذلك فلا نطلق على الكفاح السياسي جهاداً، ولا على مقارعة الحكام المسلمين الظالمين جهادا، وإن كان له ثواب كبير وفوائده للمسلمين عظيمة، فالمسألة ليست بالمشقة ولا بالفائدة، وإنما هي بالمعنى الشرعي الذي وردت فيه هذه الكلمة، والمعنى الشرعي هو القتال وكل ما يتعلق فيه من رأي وخطابة وكتابة ومكيدة وغير ذلك[1].

وصحت أحاديث كثيرة عن الرسول_ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه_ تدل على المعنى المتبادر لكلمة سبيل الله هو الجهاد لقول عمر في الحديث الصحيح[2]: "حملتُ على فرسي في سبيل الله" يعني في الجهاد و في حديث الشيخين" لغدوةٌ في سبيل الله , أو روحةٌ , خير من الدنيا وما فيها"[3]، وجاهد العدو مجاهدة، وجهادا: قاتله، اجتهد: بذل ما في وسعه.

والجهاد شرعا: قتال من ليس لهم ذمة من الكفار، والجهاد هو من أهم مقتضيات الولاء والبراء؛ لأنه الفاصل بين الحق والباطل وبين حزب الرحمن وحزب الشيطان، والجهاد: المشقة، يقال : جهدت جهادا بلغت المشقة[4].

وشرعا: بذل الجهد في قتال الكفار، ويطلق أيضا على مجاهدة النفس والشيطان والفساق، فأما مجاهدة النفس، فعلى تعلم أمور الدين، ثم العمل بها

---

[1] تقيّ الدين النبهاني، **الشخصية الإسلامية**، 153/2.

[2] أبو عوانة , **مسند أبي عوانة** , ج3 , 162 .

[3] محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، 285/1- 286, والحديث في **مصنف ابن أبي شيبة**، 336/5, تحقيق، محمد عوامة **, النووي , رياض الصالحين , 389 .**

[4] **المعجم الوسيط**، 142.

ثم على تعليمها، وأما مجاهدة الشيطان فعلى ترك ما يأتي به من الشبهات وما يزيّنه من الشهوات، وأما مجاهدة الفساق فباليد ثم اللسان ثم القلب.

وقد ذكر أن العداوة بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان أمر متأصل وستبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وذلك لأن المنهجين مختلفان ويستحيل الالتقاء بينهما؛ ولأن حزب الله يريد إقامة كلمة الحق في الأرض وهيمنة الشريعة الإسلامية على كل موضع، وحزب الشيطان يغيظه هذا المنهج فيسعى جاهدا في سحقه وإبادته ما استطاع إلى ذلك سبيلا[1].

هذا معناه تحطيم مملكة البشر لإقامة مملكة الله في الأرض أو بالتعبير القرآني: " وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ "[2] وقوله: " إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ "[3].

ومملكة الله في الأرض لا تقوم بأن يتولى الحاكمية في الأرض رجال بأعيانهم كما كان الأمر في سلطان الكنيسة، ولا رجال ينطقون باسم الإله كما كان الحال فيما يعرف باسم الثيوقراطيات، أو الحكم الإلهي المقدس، ولكنها تقوم بأن تكون شريعة الله هي الحاكمة وأن يكون مرد الأمر إلى الله وفق ما قرره من شريعة مبينة[4].

يرى العديد من العلماء المعاصرين أن المقصود بالعمليات الاستشهادية هو عمليات الاقتحام على العدو اقتحاما ما لا ترجى معه نجاة, وقد استخدم علماؤنا في كتب التراث الإسلامي مصطلحات أخرى تدلل على المضمون نفسه، منها حمل الواحد على الكثير من العدو، أو دخول الواحد في صف القتال ولو ظن الهلاك، أو الانغماس في الكفار والتعرض للشهادة,

---

[1] محمد سعيد القحطاني، **الولاء و البراء في الإسلام**، 289.

[2] **الزخرف**: 84 , **للتوضيح انظر** , صفوة التفاسير , ج3 , ص144 .

[3] **يوسف**: 40.

[4] سيد قطب، **معالم في الطريق** ، 60.

حيث أنَّ الفارق بين العمليات الاستشهادية وعملية الانغماس في العدو هو في الوسائل فقط، حيث أنه يستعمل في العمليات الاستشهادية المتفجرات والأحزمة الناسفة وغيرها مما لم يكن يعرفه السلف من قبل، والاختلاف في الوسائل لا يغير في اتفاق الآخرين من حيث المضمون والجوهر[1].

أما الجهاد في سبيل الله بالمفهوم الغربي فقد جرت العادة عند الإفرنج أن يعبروا عن كلمة الجهاد "بالحرب المقدسة" , " holy war " إذا أرادوا ترجمتها بلغاتهم وقد فسروها تفسيرا منكرا، وتفننوا فيها وألبسوها ثوبا فضفاضا من المعاني المموهة الملفقة، وقد بلغ الأمر إلى ذلك أن أصبحت كلمة الجهاد عندهم عبارة عن شراسة الطبع والخلق والهمجية وسفك الدماء، وقد كانت من لباقتهم، وسحر بيانهم، وتشويههم لوجوه الحقائق الناصعة، أنه كلما قرع سمع الناس صوت هذه الكلمة – الجهاد– تمثلت أمام أعينهم صورة مواكب من الهمج المحتشدين، مصلتة سيوفها، متقدة صدورها بنار التعصب والغضب، متطايرا من عيونها شرار الفتك والنهب – عالية أصواتها بهتاف – الله أكبر – زاحفة إلى الأمام ما إن رأت كافرا أمسكت بخناقه، وجعلته بين أمرين إما أن يقول لا إله إلا الله فينجو بنفسه وإما أن يُضرب عنقه، فتشخب أوداجه دما![2]

---

[1] أسامة حمدان، **العمليات الاستشهادية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين**. 3.

[2] سيد قطب، **في ظلال القرآن**. 1244/3.

الفصل الثاني: مفهوم التربية الجهادية

التربية الجهادية لا تعني بحال إسقاط جوانب التربية الأخرى, ولا تعني التفرغ للتربية العسكرية وشؤون القتال, ولا تعني إهمال التربية الروحية والفكرية وإغفال التربية السياسية والحركية, وإنما تعني تأصيل الروح الجهادية لدى الفرد والجماعة وجعل هذه الروح وشيجة الربط بين سائر الاهتمامات والعنوان الرئيس لها، تعني إيجاد الإنسان الذي يعيش من أجل الإسلام, الإنسان الذي يدرك عظمة دوره وخطورته ودقته فهو لا يتوانى, فيهيئ نفسه ويستعد للقيام بهذا الدور على أكمل وجه، الإنسان المعلق قلبه بالله وبالآخرة فهو لا يعيش لدنياه , مقدما فضول الوقت والجهد لآخرته ودعوته, الإنسان المتلهف إلى الشهادة في سبيل الله والذي يعيش حقيقة الشعار و يردده: "الموت في سبيل الله أسمى أمانينا".

إن التربية الجهادية هي التربية التي تجعل الإنسان – اختصاصه وعمله – مجاهدا في سبيل الله , و هو مُخَصِّص اختصاصه وعمله للجهاد في سبيل الله فهو عالم ومجاهد، وهو طبيب ومجاهد وهو كاتب ومجاهد، وهو مهندس ومجاهد، وهو معلم ومجاهد، وبهذا تكون السمة المميزة والقاسم المشترك بين هؤلاء جميعا، إن التربية الجهادية توجب إعطاء مساحة أكبر من الاهتمام بأمرين أساسيين:

أولا: الاهتمام بالنفس بربطها بالله والشوق إلى لقائه والموت في سبيله، وبالتالي صونها عن كل ما يركن بها إلى الأرض وشهواتها ولو كان حلالا طيبا وبذلك تكون نفسا مجاهدة.

ثانيا: الاهتمام بالجسد، ليكون معافى قويا يمتلك كل إمكانيات الدفاع والهجوم وخبرات الدفاع والهجوم وبخاصة في عصر تعددت فيه هذه الخبرات والعلوم , ورسول الله_ عليه السلام _ يقول: "من تعلم لغة قوم أمن مكرهم"[1].

وأقف أخيرا أمام سؤال كبير هو محل حوار كبير في الحركة الإسلامية، وهو: هل التربية أولا ثم المواجهة والمعركة ؟ أم التربية من خلال المواجهة والمعركة مع الباطل؟ وكلما دق ناقوس الخطر في الحركة الإسلامية، ووقعت في محنة ونزلت بها نازلة نعيد السؤال من جديد – لماذا نخفق؟ لأننا لم نتربَّ بعد، وكيف تكون التربية؟ تكون بوضع منهاج شامل للتربية، والعودة إلى الأسرة، والتثقيف فيها، ويؤسفني أن أقول: إن مفهوم التربية قد مسخ إلى عملية التثقيف وملء الذهن بالمعلومات، ولا شك أن عملية التثقيف هي جزء من عملية التربية، لكن التربية أوسع وأعمق وأشمل، وللإجابة عن هذا السؤال أقول:- إن التربية النبوية لم تكن يوما واحدا بعيدة عن الواقع أو الساحة، إن التربية عملية مستمرة دائبة، دائمة، تتم بالتعامل مع الواقع ومواجهته لتغييره حتى يكون الواقع الحق , فيقول تعالى:- **" لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ"**[2].

---

[1] فتحي يكن، **أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي**، 89.

"وهذا الحديث: "من تعلم لغة قوم أمن مكرهم"، فلم نجده فيما اطلعنا عليه من كتب أهل الحديث، ولعله قول بعض السلف، ومعناه صحيح، فإن من تعلم لغة قوم فجالسهم علم ما يتحدثون فيه فأمن مكرهم به. وأما ما يقتضيه من الترغيب في تعلم اللغات الأجنبية فإنه مشروع عند الحاجة؛ فقد ثبت أن النبي_ صلى الله عليه وسلم_ أمر زيد بن ثابت أن يتعلم لسان اليهود؛ ليكون واسطة مأمونة موثوقة بينه وبين اليهود في نقل كلامه إليهم وكلامهم إليه. ينظر: **اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء**، 435/4. جمع وترتيب، أحمد عبد الرزاق الدويش . الناشر: **رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء – الإدارة العامة للطبع – الرياض.**

[2] **الأنفال** : 8.

فالتربية قبل المواجهة، وخلالها وبعدها، ومسؤولية الحركة الإسلامية أن تفقه الواقع الذي تتحرك فيه، وتفقه طاقتها وقدرتها الذاتية على المواجهة والحوار، أو تلجأ إلى الحديد ذي البأس الشديد، حين تكون قادرة على ذلك , أو بهما معا، لأنه لا انفصال أبدا في التربية الجهادية بين الدعوة والجهاد, إن مواجهة العدو لم تكن هدفا في يوم من الأيام من التربية الجهادية , إذ يقول الرسول_ صلى الله عليه وسلم _ : "لا تتمنَّوا لقاء العدو وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف"[1]؛ إنما المواجهة وسيلة لهذه القلوب البشرية التي لا تخضع إلا بالقوة ، فيمكنها بذلك أن تلين وتسمع، أو وسيلة لتحطيم القوة الطاغية التي تحول بين الناس وبين شريعة الله[2].

---

[1] **صحيح البخاري**، 2644/6, ورد في باب كراهية تمني لقاء العدو. **ط (3) دار ابن كثير، بيروت، 1987م.**

[2] منير الغضبان، **المنهج التربوي للسيرة النبوية**, 1/9-10.

الفصل الثالث: الفرق بين الدفاع والجهاد

الذي يدرك طبيعة هذا الدين يدرك حتمية الانطلاق الحركي للإسلام في صورة الجهاد بالسيف إلى جانب الجهاد بالبيان , ويدرك أن ذلك لم يكن حركة دفاعية بالمعنى الضيق الذي يُفهم اليوم من اصطلاح الحرب الدفاعية كما يريد المهزومون أمام ضغط الواقع الحاضر وأمام هجوم المستشرقين الماكر, الذين يصورون حركة الجهاد في الإسلام إنما حركة اندفاع وانطلاق لتحرير الإنسان في الأرض بوسائل مكافئة لكل جوانب الواقع البشري وفي مراحل محددة لكل مرحلة منها وسائلها المتجددة.

وإذا لم يكن بد أن نسمي حركة الإسلام الجهادية حركة دفاعية فلا بد أن نغير مفهوم كلمة الدفاع ونعتبره دفاعا عن الإنسان ذاته ضد جميع العوامل التي تقيد حريته وتعوق تحرره، هذه العوامل التي تتمثل في المعتقدات، والتصورات كما تتمثل في الأنظمة السياسية، القائمة على الحواجز الاقتصادية، والطبقية , والعنصرية التي كانت سائدة في الأرض كلها يوم جاء الإسلام والتي ما تزال أشكال منها سائدة في الجاهلية الحاضرة في هذا الزمان.

وبهذا التوسع في مفهوم كلمة الدفاع نستطيع أن نواجه حقيقة بواعث الانطلاق الإسلامي في الأرض بالجهاد ونواجه طبيعة الإسلام ذاته وهي أنه إعلان عام لتحرير الإنسان من العبودية للعباد وتقرير ألوهية الله وحده وربوبيته للعاملين وتحطيم مملكة الهوى البشري في الأرض وإقامة مملكة الشريعة الإلهية في عالم الإنسان[1].

---

[1] سيد قطب، **معالم في الطريق**، 64-65.

الفصل الرابع: مفهوم التهلكة

يلاحظ أن التهلكة لها عدة معان، منها ما ورد في حديث أبي أيوب بأنه ترك الجهاد في سبيل الله[1] فالتهلكة الإقامة في الأهل و المال و ترك الجهاد، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة و ليس ذلك في القتال, إنما هو في النفقة, أن تمسك بيدك عن النفقة في سبيل الله , ولا تلق بيدك إلى التهلكة, و المضمون: الأمر بالإنفاق في سبيل الله في سائر وجوه القربات ووجوه الطاعات و خاصة صرف الأموال في قتال الأعداء و بذلها فيما يقوَى به المسلمون على عدوهم, أو أنه ترك النفقة، ويفهم ذلك من حديث أبي أيوب وابن عباس وغيرهما، ويؤيد هذا المعنى الكثيرون، مثل حذيفة بن اليمان[2], إذ يقول : الصرف في وجوه القربات و خاصة الصرف في قتال الكفار و البذل فيما يقوَى به المسلمون على عدوهم, و لا تلقوا بأيدكم إلى التهلكة بالكف عن الغزو و الإنفاق فيه , فإنه يقوي العدو و يسلطهم على إهلاككم أو المراد الإمساك و حب المال فإنه يؤدي إلى الهلاك, وغيره من الأئمة[3] ويوضح سيد قطب هذا التفسير بقوله: "والإمساك عن الإنفاق في سبيل الله تهلكة للنفس بالشح، وتهلكة للجماعة بالعجز والضعف"[4].

---

[1] **ابن كثير , عمدة التفسير, ج 2, ص 51.**

[2] **صحيح البخاري,4516.**

[3] **أسامة حمدان، العمليات الاستشهادية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين**، 18.

[4] سيد قطب، **معالم في الطريق**، 64-65.

الباب الثاني:

(مشروعية الجهاد في سبيل الله)

- ✓ الفصل الأول: **لماذا الجهاد في سبيل الله؟**
- ✓ الفصل الثاني: **حكم الجهاد**
- ✓ الفصل الثالث: **فضل العمل الجهادي**
- ✓ الفصل الرابع: **الخليفة والجهاد**
- ✓ الفصل الخامس: **أنواع الجهاد**
- ✓ الفصل السادس: **آداب الجهاد**

الفصل الأول: لماذا الجهاد في سبيل الله؟

لا يقول أحد إنما كان الجهاد ملابسة طارئة بسبب ظروف، وقد تغيرت هذه الظروف، وليس ذلك لأن الإسلام يجب أن يشهر سيفه ويمشي به في الطريق يقطع به الرؤوس، ولكن لأن واقع حياة الناس وطبيعة طريق الدعوة تلزمه أن يمسك بهذا السيف ويأخذ حذره في كل حين.

إن الله_ سبحانه وتعالى _ يعلم أن الشر متبجح، ولا يمكن أن يكون منصفا، ولا يمكن يدع الخير ينمو، مهما يسلك هذا الخير من طريق سلمية موادعة، فإن مجرد نمو الخير يحمل الخطورة على الشر، ومجرد وجود الحق يحمل الخطر على الباطل، ولا بد أن يجنح الشر إلى العدوان، ولا بد أن يدافع الباطل عن نفسه بمحاولة قتل الحق وخنقه بالقوة، وهذه جبلة وليست ملابسة وقتية، وهي فطرة وليست حالة طارئة.

ومن ثم لا بد من الجهاد – لا بد منه في كل صورة – ولا بد أن يبدأ في عالم الضمير ثم يظهر؛ فيشمل عالم الحقيقة والواقع والشهود، ولا بد من مواجهة الشر المسلح بالخير المسلح, ولا بد من لقاء الباطل المتمترس بالعدد, بالحق المتوشح بالعدة، وإلا كان الأمر انتحارا، أو كان هذه لا يليق بالمؤمنين.

ولابد من بذل الأموال والأنفس، كما طلب الله من المؤمنين وكما اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، فإما أن يقدِّر لهم الغلبة، أو يقدِّر لهم الاستشهاد، فذلك شأنه– سبحانه وتعالى– وذلك قدره المصحوب بحكمته، أما هم فلهم إحدى الحسنيين عند ربهم، والناس كلهم يموتون عندما يحين الأجل، الشهداء وحدهم هم الذين يستشهدون.

هناك نقط ارتكاز أصيلة في هذه العقيدة، وفي منهجها الواقعي وفي خط سيرها المرسوم، وفي طبيعة هذا الخط وحتمياته الفطرية، التي لا علاقة

لها بتغيير الظروف، وهذه النقط لا يجوز أن تتميع في حس المؤمنين تحت أي ظرف من الظروف؛ ومن هذه النقط- الجهاد- الذي يتحدث عنه الله سبحانه هذا الحديث- الجهاد في سبيل الله وحده- وتحت رايته وحدها- وهذا هو الجهاد الذي يسمى من يقتلون فيه شهداء ويتلقاهم الملأ الأعلى بالتكريم[1].

نلاحظ أن عملية الجهاد المستمر، والتضحيات الكثيرة التي بذلت فيه من أجل إخضاع العالم لسلطان الله، مع إعطاء الفرد الحرية في البقاء على دينه أو الانتقال منه إلى الإسلام دين الحق بالاقتناع الكامل دليل كامل على أن محمدا رسول الله – صلى الله عليه وسلم- كان عادلا، فالذين يتصورون أن مقام النبوة يتنافى مع الحرب العادلة، تصوراتهم تماما معكوسة، إن حرب الأنبياء هي وحدها المعقولة في العالم، إذ أن الحياة البشرية لا تستقيم إلا على قانون الله وشريعته، فإذا لم يكن العالم خاضعا لسلطان الله، فإن العالم تمزقه بمن فيه وقتذاك أهواء البشر، أما إذا خضع لسلطان الله المتمثل في عباده المستقيمين الصالحين وشريعة الله، فإن في ذلك صلاحه فلا يعني إخضاع البشر لسلطان الله إجبارهم على الدخول في دين الله[2].

إن الجهاد في سبيل الله ثمرة من ثمار النبوة وعدم إكراه الناس على الدخول في الإسلام ثمرة أخرى وكلتاهما تشهدان أنّ محمدا – صلى الله عليه وسلم- رسول الله[3].

فلا نجد نظاما قديما أو حديثا دينيا أو مدنيا عني بشأن الجهاد والجندية واستنفار الأمة وحشدها كلها صفا واحدا للدفاع بكل قواها عن الحق

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 5/742-743.

[2] سعيد حوى، **الرسول**، 444.

[3] سعيد حوى، **الرسول**، 446.

كما نجد ذلك في دين الإسلام وتعاليمه، وآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول العظيم – صلى الله عليه وسلم– فياضة بكل هذه المعاني السامية، داعية بأفصح عبارة وأفصح أسلوب إلى الجهاد والقتال والجندية، وتقوية وسائل الدفاع والكفاح بكل أنواعها من برية وبحرية وغيرها على كل الأحوال والملابسات[1]

وفي ظل قصة العقيدة وفي مواجهة وعد الله بالتمكين لهذا الدين الأخير، يهتف القرآن الكريم بالذين آمنوا, من كان يواجه ذلك الخطاب ومن يأتي بعدهم من المؤمنين إلى يوم الدين، يهتف بهم إلى أربح تجارة في الدنيا والآخرة، والإيمان بالله والجهاد في سبيل الله حيث يقول تعالى: " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿10﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿11﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿12﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿13﴾**"[2]. وصيغة التعبير بما فيها من فصل ووصل، واستفهام وجواب، وتقديم وتأخير، صيغة فيها القصد إلى إقرار هذا الهتاف في القلوب بكل وسائل التأثير التعبيرية يبدأ النداء باسم الإيمان يا أيها الذين آمنوا، يليه الاستفهام الموحي، فالله سبحانه هو الذي يسألهم ويشوقهم إلى الجواب, هل ندلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم؟ ومن ذا الذي لا يشتاق لأن يدله الله على هذه التجارة؟ وهنا تنفصل الجملتان للتشويق بانتظار الجواب المرموق، ثم يجيء الجواب وقد ترقبته القلوب والأسماء: "تؤمنون بالله ورسوله, وهم مؤمنون بالله ورسوله فتشرق قلوبهم عند

---

[1] حسن البنّا، **مجموعة الرسائل** ، 42.

[2] **الصّف**:10-13

سماع شطر الجواب هذا المتحقق فيهم, "وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم" وهو الموضوع الذي يجيء في هذا الأسلوب.

ويكرر هذا التكرار، ويساق في هذا السياق ، فقد علم الله أن النفس البشرية في حاجة إلى هذا التكرار وهذا التنويع ، وهذه الموحيات ؛ لتنهض بهذا التكليف الشاق الضروري الذي لا مفر منه لإقامة هذا المنهج وحراسته في الأرض ثم يعقب على عرض هذه التجارة التي دلهم عليها بالتحسين والتزيين " ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون" فعلمُ الحقيقة يقود من يعلم إلى ذلك الخير الأكيد، ثم يفصل هذا الخير في آية مستقلة ؛ لأن التفصيل بعد الإجمال يشوق القلب إليه ، ويقرّه في الحسن ويمكّن له "ويغفر لكم ذنوبكم", وهذه وحدها تكفي, فمن ذا الذي يضمن أن يغفر له ذنبه ثم يتطلع بعدها إلى شيء آخر؟ أو يدخر في سبيلها شيئا آخر؟! ولكن فضل الله ليست له حدود, "ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن" وإنها لأربح تجارة أن يجاهد المؤمن في حياته القصيرة ثم يعوض عنها تلك الجنات وهذه المساكن مع نعيم مقيم – وحقا– ذلك الفوز العظيم[1].

لقد برز الجانب العسكري الجهادي في الحضارة العربية الإسلامية؛ لما للناحية العسكرية الجهادية من ارتباط بالدعوة الإسلامية، ولأن القوة والإعداد لهما من أكبر الضمانات لإحقاق الحق ونشر العدل، والحق الذي لا قوة معه مضيَّع مستضعف، والعدل الذي لا شوكة له لا قيمة له ولا شأن[2] , الذين يتحدثون عن الجهاد في الإسلام فيصفونه بأنه كان لإكراه الأفراد على الاعتقاد والذين يهولهم هذا الاتهام ممن يقفون من الدين موقف الدفاع،

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 3559/6.

[2] إبراهيم الكيلاني وآخرون، **دراسات في الفكر الإسلامي**، 287.

فيروحون يوقعون هذه التهمة، بأن الإسلام لا يقاتل إلا دفاعا عن أهله في حدود الإقليمية, هؤلاء وهؤلاء في حاجة إلى أن يتطلعوا إلى تلك القمة العالية الذي يمثلها هذا التوجيه الكريم[1],يقول تعالى:- " **وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ**"[2].

إن الجهاد لا يقوم به حق القيام إلا إنسان لا تأخذه في الله لومة لائم، إن المشاركة فيه عملية تقيم الدنيا على صاحبها وتقعدها، وتتحرك بسببها قوى كثيرة ضد أصحابها فتبدأ التهم وتبدأ الإشاعات، وتبدأ الحرب اللسانية، والحرب الفكرية، وتبدأ الانتقادات من كل جانب وتجد أصناف الكافرين يوجهون هذه المعارك كل حسب وجهة نظره وبطريقته الخاصة، ويتأثر من هذا كله الناس حول المجاهد فيقولون ما يقوله الآخرون وتبدأ عملية تثبيط رهيبة وعمليات تعنيف مصدرها القريب والبعيد الأب والزوجة والأخوات والأقارب، والجيران والأرحام .

ويزيد الأمر ضرامةً أن الجهاد له تكاليفه الجسمية والمادية، فالذين يقيسون الأمور بموازين الدنيا يدخلون في المعركة ضد المجاهدين بكل لسان[3].

أمام هذا كله فإنه لا يستطيع أن يثبت على طريق الجهاد إلا الذي تحرر من لوم اللائمين في ذات الله ومن أجل الله وفي سبيل الله , فهو يجاهد بيده وبلسانه وبماله وبكل وسيلة مشروعة، والناس لا يهضمون جهاده وهو لا يبالي ويتحمل الضغوط كلها , ضغط المجتمع الذي يستخف و لا يقبل الجهاد

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 1603/3.

[2] **التوبة**: 6.

[3] سعيد حوى، **جند الله ثقافة وأخلاقا**، 368.

في سبيل الله وضغط الفكر العالمي الذي يعتبر أن عملية الجهاد في سبيل الله فات دورها وضغط الضمير العالمي الكاذب الذي فر من الله ولكنه لا يبالي بهذا كله في سبيل الله.

وتوجه له الشيوعية والرأسمالية والصهيونية والماسونية والتبشيرية والصليبية والدول الصغرى والكبرى كل سهام جعبتها، ولكنه يمضي في جهاده الرباني ولا يخاف لومة اللائمين، وتبدأ المؤامرات عليه من كل جانب على وظيفته وعلى تجارته وعلى أسرته، وعلى من يلوذ به ويمضي حتى يستشهد في سبيل الله , يقول تعالى :- " **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**" [1].

من تحقق بهذا فذلك الذي يستطيع أن يجاهد ويقوم بشأن الجهاد[2] وذلك الذي كان من أهل " **يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ**"[3]

العمليات الاستشهادية

تعد العمليات الاستشهادية ظاهرة أصيلة في التاريخ الإسلامي، مارسها السلف الصالح منذ عهد النبوة، مما يؤكد مشروعية هذه الظاهرة ، و إن لم تحمل هذا الاسم من قبل، إضافة إلى ما نقل عن اتفاق علماء الأمة على مشروعية هذه العمليات.

فقد مارس المسلمون العمليات الاستشهادية طلبا للشهادة وبذلا للنفس في سبيل الله دون أن ترتبط هذه العمليات بحال اليأس والإحباط، ولذا فإن ربط العمليات الاستشهادية التي تجري في فلسطين باليأس هو أمر مردود

---

[1] **الأحزاب**: 23.

[2] سعيد حوى، **جند الله ثقافة وأخلاقا**، 369.

[3] **المائدة: 54**.

يكذبه تدافع المجاهدين على الاستشهاد ومشاركة الكثير من الشباب من ذوي الثقافة والمستوى الاجتماعي دون أن يكون للفقر دور في دفعهم للاستشهاد.

مارسها المسلمون في كل وقت ولم ترتبط عملياتهم بحالات الدفاع عن النفس بل استخدموها في كل حروبهم مع الأعداء سواء الدفاعية أو الهجومية في أراضي المسلمين أو في أرض العرب، وحاجة المسلمين إلى تطوير وسائلهم وتقنياتهم في صراعهم مع العدو وما يستخدمه المسلمون من وسائل وتقنيات متطورة في العمليات الاستشهادية[1] ، هو في إطار ذلك وضمن قوله تعالى: " **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ**"[2]

الجهاد في العصر الحالي

ينظر للجهاد على أنه من مستلزمات الدعوة، وذلك بجعله الركن الرابع من أركان البيعة وبهذا يقول الأستاذ حسن البنا _ رحمه الله_ في مراد الجهاد: والمراد من الجهاد: الفريضة الماضية إلى يوم القيامة[3]، والمقصود بقول رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "من مات ولم يغز ولم ينو الغزو مات ميتة جاهلية"[4]

و أول مراتبه إنكار القلب، وأعلاها القتال في سبيل الله وبين ذلك جهاد باللسان، والقلم، واليد وكلمة الحق عند السلطان الجائر، ولا تحيا الدعوة إلا

---

[1] أسامة حمدان، **العمليات الاستشهادية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين**، 23.

[2] **الأنفال**: 60.

[3] حسن البنا، **مجموعة الرسائل**، 375.

[4] **صحيح مسلم**، 49/6.

بالجهاد في سبيل الله وضخامة الثمن الذي يُطلب لتأييده وجزالة الثواب "**وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ**"[1].

ولم يكن الحديث عن الجهاد خطابات وهتافات ومقالات، بل كان واقعا عمليا تجده عندما أتيحت الفرصة للقتال في فلسطين وغيرها ، وسرد تاريخهم في هذه الحرب والحديث عن خططهم ومعاركهم أمور جديرة أن توضَع فيها مجلدات وأن تكون هذه المجلدات بين يدي كل عربي ومسلم ليستمد منها روحا وقوة وليستلهموا منها معاني الاعتزاز والفخر بالانتماء إلى أمتهم العظيمة وما يؤسف له ألا تكون بين أيدينا- العرب- هذه المجلدات وأن تكون هذه المجلدات عند أعدائنا الذين لا يدعون صغيرة ولا كبيرة إلا درسوها وتعلموا منها، ويكفي هنا أن نذكر مسارعة الإخوان من أنحاء البلاد إلى التطوع من أول يوم فتح الأستاذ فيه باب التطوع وكان الأستاذ اشترط في المتطوعين من الشباب شروطا أهمها أن يكون برضا الوالدين[2].

الجهاد ذروة سنام الإسلام

روى الترمذي وأحمد والحاكم عن معاذ بن جبل _ رضي الله عنه_ قال : كنا مع رسول الله_ صلى الله عليه وسلم _ في غزوة تبوك، فقال : " ألا أُخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه" ؟ قلت : بلى يا رسول الله , قال : " رأس الأمر الإسلام , و عموده الصلاة، و ذروة سنامه الجهاد في سبيل الله"[3].

---

[1] **الحج**: 78 .

[2] جاسم محمد مهلهل، **للدعاة فقط** ، 91-92.

[3] أخرجه الترمذي، وأحمد، والحاكم، والحديث صحيح بطرقه الكثيرة .

إنما شبه الجهاد بذروة سنام البعير؛ لأن ذروة السنام لا يعادلها ولا يساويها شيء من أجزاء البعير، وكذلك الجهاد لا يعادله ولا يساويه شيء من أعمال الإسلام لقوله – صلى الله عليه وسلم–: شبه الإسلام بالبعير، لأن البعير يحمل الإنسان ويوصله إلى المكان الذي يريده وكذلك الإسلام يوصل المسلم من سفره الدنيوي إلى موطنه الأول وهو الجنة وشبه الجهاد بذروة سنام البعير؛ لأن ذروة سنام البعير لا ينالها إلا أطول الناس جسدا أو مالا، وكذلك الجهاد لا يناله إلا أفضل المؤمنين مسابقة في بذل النفس والمال.

ويحتمل أن النبي الكريم شبه الجهاد بذروة السنام لأن من وصل ذروة السنام فقد تمكن من جميع أجزاء البعير وتحكم فيها، وكذلك من رزقه الله الجهاد، فقد أناله الله جميع ما في الإسلام من أجزاء الفضل.

إن للمجاهد أجرا في نومه، وأجرا في سفره، وأجرا في نفقته، وأجرا في تعبه , وأجرا في عطشه وجوعه، وأجرا في كل حركاته[1].

أسباب الجهاد

وسبب الجهاد ليس الجزية، وإن كنا عند قبول الجزية نكف عنهم، وإنما سبب الجهاد هو كون الذين نقاتلهم كفارا امتنعوا عن قبول الدعوة قال تعالى: "**قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**"[2], فالأمر بقتالهم لوصف الكفر أي قاتلوهم لأنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر, فيكون هذا الوصف قيدا للقتال، وحينئذ يصبح سببا، فيكون سبب القتال هو الكفر، وقد جاء في آية أخرى فيقول تعالى: " **يَا**

---

[1] أحمد الدمشقي الدمياطي، **تهذيب كتاب مشاريع الأشواق**، 71 –72.

[2] **التوبة**: 29 .

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً"[1]؛ فأمر بقتالهم لوصف الكفر, أما إعطاء الجزية فقد جعله القرآن مع الصغار سببا في وقف القتال، لا سببا في القتال، ومن هنا كان سبب الجهاد هو الكفر فإذا قبل الذين نقاتلهم الدعوة صاروا مسلمين، وإن امتنعوا عن اعتناق الإسلام وقبلوا أن يدفعوا الجزية وأن يحكموا بالإسلام يقبل ذلك منهم، ويمنع عن قتالهم، لأنه لا يجوز أن يكرهوا على اعتناق الإسلام، وما داموا قبلوا الحكم به، ودفعوا الجزية فقد خضعوا للدعوة، ولو لم يعتنقوا الإسلام، ولذلك لا يجوز قتالهم بعد هذا القبول للحكم به ودفع الجزية، أما إذا قبلوا الجزية وامتنعوا عن أن يحكموا بالإسلام، فلا يجوز للخليفة أن يقبل ذلك منهم، لأن سبب القتال كونهم كفارا امتنعوا عن قبول الدعوة لا يزال قائما، فقتالهم ما زال فرضا لم تسقط فرضيته عن المسلمين[2].

ضرورة الجهاد

إن الجهاد ضرورة للدعوة، إذا كانت أهدافها هي إعلان تحرير الإنسان إعلانا جادا يواجه الواقع الفعلي بوسائل مكافئة له في كل جوانبه، ولا يكتفي بالبيان الفلسفي النظري سواء كان الوطن الإسلامي- وبالتعبير الإسلامي الصحيح- دار الإسلام أمنا أم مهددا من جيرانه، فالإسلام حين يسعى إلى السلم، لا يقصد تلك دار السلم الرخيصة، وهي مجرد أن يؤمِّن الرقعة الخاصة التي يعتنق أهلها العقيدة الإسلامية، إنما يريد دار السلم التي يكون الدين فيها

---

[1] **التوبة** : 123 .

[2] تقي الدين النبهاني، **الشخصية الإسلامية** ، 153-154.

كله لله، أي تكون عبودية الناس كلهم فيها لله والتي لا يتخذ فيها الناس بعضهم بعضا أربابا من دون الله .

والعبرة بنهاية المراحل التي وصلت إليها الحركة الجهادية في الإسلام لا بأوائل أيام الدعوة ولا بأوسطها ولقد انتهت هذه المرحلة كما قال الإمام[1] ابن القيم: "فاستقر أمر الكفار معه– بعد نزول براءة – على ثلاثة أقسام: محاربين له، وأهل ذمة، وأهل عهد، ثم آلت حال أهل العهد والصلح إلى الإسلام فصاروا معه قسمين: محاربين وأهل ذمة، والمحاربون له خائفون منه فصار أهل الأرض معه ثلاثة أقسام: مسلم مؤمن به، ومسالم له أرض _ أهل الذمة _ ، وخائف محارب , هذه هي حقيقة الدين وأهدافه لا كما يفهمها المهزومون أمام الواقع الحاضر[2].

وفي سبيل حماية الجماعة المسلمة الأولى كان الأمر لرسول الله – صلى الله عليه وسلم– بمجاهدة أعدائها ولقوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**"[3]، وهي لفتة لها معناها وقيمتها بعد تقدم من أمر المؤمنين بوقاية أنفسهم وأهليهم من النار، بالتوبة النصوح التي تكفر عنهم السيئات وتدخلهم الجنة التي تجري من تحتها الأنهار؛ و لها معناها أيضا وقيمتها في ضرورة حماية المحضن الذي تتم فيه الوقاية من النار، فلا تترك هذه العناصر المفسدة الجائرة الظالمة تهاجم المعسكر الإسلامي من خارجه كما كان الكفار يصنعون، أو تهاجمه من داخله كما كان المنافقون يفعلون , وتجمع الآية بين الكفار والمنافقين في الأمر بجهادهم والغلظة عليهم لأن كلا الفريقين يؤدي دورا مماثلا في تهديد

---

[1] ابن القيم , أحكام أهل الذمة , ج2 , 475 .

[2] سيد قطب، **معالم في الطريق** ، 66 .

[3] **التحريم**: 9 .

المعسكر الإسلامي، وتحطيمه أو تفتيته، فجهادهم هو الجهاد الواقي من النار، و جزاؤهم هو الغلظة عليهم من رسول الله – صلى الله عليه وسلم– والمؤمنين في الدنيا و مصيرهم النار في الآخرة و بئس المصير[1].

إن الجهاد في سبيل الله هو طريق الدعوة إلى الله، والجهاد ليس ملابسة طارئة من ملابسات فترة الدعوة الأولى، إنما هو قدرة مصاحبة لركب هذه الدعوة، ولو كان الجهاد ملابسة طارئة في حياة الأمة المسلمة ما استغرق كل هذه الفصول الواسعة من صلب كتاب الله ولما استغرق فصولا طويلة من سنة رسول الله الكريم والله يعلم أن هذا المنهج الإلهي تكرهه الطواغيت، ويعلم أنه لا بد لأصحاب السلطات أن يقاوموه , لأنه طريق غير طريقهم، ومنهج غير منهجهم، ليس بالأمس فقط ولكن اليوم وغدا، وفي كل أرض، وفي كل جيل، وأن الله سبحانه وتعالى يعلم أن الشر متبجح ولا يمكن أن يكون منصفا ولا يمكن أن يدع الخير ينمو مهما يسلك هذا الخير من طريق سليمة موادعة، فإن مجرد نمو الخير يحمل الخطورة على الشر، ومجرد وجود الحق يحمل الخطر على الباطل، ولا بد أن يجنح الشر إلى العدوان، ولا بد أن يدافع الباطل عن نفسه بمحاولته قتل الحق وخنقه بالقوة، هذه فطرة وليست حالة طارئة، ومن ثم لا بد من الجهاد، لا بد منه في كل صوره، لا بد أن يبدأ في عالم الضمير ثم يظهر فيشمل عالم الحقيقة والواقع ولا بد من مواجهة الشر المسلح بالخير المسلح، ولا بد من لقاء الباطل المتمترس بالعدد بالحق المتوشح بالعدة وإلا كان الأمر هزلاً لا يليق بالمؤمنين، لا بد من بذل الأموال والأنفس كما طلب الله من المؤمنين يوم أن أدرك المسلمون قوله تعالى: **" فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي**

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن** ، 6/3620-3621 .

سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا"[1]، انطلقت كتائب الفتح الإسلامي في الأرض تنشر الخير وتعلن الإيمان وتكسر شوكة الطواغيت من أجل أن يعبد الله وحده في الأرض[2].

[1] **النساء**: 74 .

[2] محمد بن سعيد القحطاني، **الولاء والبراء** ، 295- 296 .

الفصل الثاني: حكم الجهاد في سبيل الله

الجهاد فرض بنص القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، قال تعالى: "وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ"[1]، وقال تعالى" كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ "[2]، ومن الحديث النبوي وعن أنس قال: قال رسول الله_ صلى الله عليه وسلم _: "جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم"[3]، وروي عن أنس قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم– : "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله "[4] وروى الإمام أحمد وأبو داود عن أنس قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– " الجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل"[5].

والجهاد فرض كفاية ابتداء، وفرض عين إن هجم العدو على من هاجمهم[6]، وفرض كفاية على غيرهم، ولا يسقط الفرض حتى يُطرد العدو وتطهّر أرض الإسلام من رجسه، ومعنى كون الجهاد فرض كفاية ابتداء , هو أن نبدأ بقتال العدو وإن لم يبدأنا، وإن لم يقم بالقتال ابتداء أحد من المسلمين في زمن ما , أثم الجميع بتركه، والقتال ابتداء إذا قام به أهل مصر سقط عن أهل أندونيسيا، إذ قد وجد فعلا قتال من المسلمين للكفار المحاربين فحصل فرض الجهاد، أما إذا نشب القتال بين المسلمين والكفار ولم تحصل الكفاية بقتال الكفار من قبل أهل مصر وحدهم فلا تسقط فريضته على أهل الهند وأندونيسيا بقيام أهل مصر والعراق، بل يفرض على الأقرب فالأقرب من

---

[1] **الأنفال** :39 .

[2] **البقرة**: 216 .

[3] النسائي، **السنن الكبرى**، 6/3. ط (1) دار الكتب العلمية، بيروت، 1991.

[4] **صحيح ابن خزيمة**، 1072/2. تحقيق محمد مصطفى الأعظمي.

[5] **سنن أبي داوود**، 185/4، تحقيق شعيب الأرناؤوط.

[6] تقي الدين النبهاني، **الشخصية الإسلامية**، 155/2.

العدو إلى أن تقع الكفاية، فلو لم تقع الكفاية إلا بكل المسلمين صار الجهاد فرضا على كل المسلمين جميعهم حتى يُقهر العدو.

ومحل كون الجهاد فرض كفاية إذ لم يستنفره الخليفة، أما من استنفره الخليفة فإن الجهاد أصبح فرضا عليه لقوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ**"[1]، ومعنى الكفاية بالجهاد في الدولة الإسلامية هو أن ينهض للجهاد قوم يكفون في قتالهم، إما أن يكونوا جندا لهم دواوين من أجل ذلك، كما كان الحال أيام عمر أو يكونوا قد أعدوا أنفسهم للجهاد تبرعا، كما كان الحال أيام أبي بكر[2].

إن الجهاد فريضة على المسلمين حتى لو كان عدد أعدائهم أضعاف عددهم، وأنهم منصورون بعون الله على أعدائهم، وأن الواحد منهم كفء لعشرة من الأعداء، وكفء لاثنين في أضعف الحالات، وفريضة الجهاد إذن لا تنتظر تكافؤ القوى الظاهرة بين المؤمنين وعدوهم، فحسب المؤمنين أن يعدوا ما استطاعوا من القوة وأن يثقوا بالله، وأن يثبتوا في المعركة، ويصبروا عليها، والبقية على الله، ذلك أنهم يملكون قوة أخرى غير القوة المادية الظاهرة[3].

وحكم الجهاد الخاص الذي هو قتال الكفار والمحاربين فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن البعض الآخر، وذلك لقوله تعالى: "**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**" [4]، غير أنه يتعين

---

[1] **التوبة**: 38 .

[2] تقي الدين النبهاني، **الشخصية الإسلامية**، 156/2.

[3] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 1538/3.

[4] **التوبة**: 122 .

على من عينه الإمام فيصبح فرض عين في حقه لقوله – صلى الله عليه وسلم–:"وإذا استنفرتم فانفروا"[1] وكذا إذا داهم العدو بلدا فإنه يتعين على أهلها حتى النساء منهم مدافعته وقتاله[2].

فرض عليكم قتال الكفار أيها المؤمنون, وهو شاق ومكروه على نفوسكم؛ لما فيه من بذل المال والخطر وهلاك للنفس, وقد تحب نفوسكم شيئا وفيه كل الخطر والضرر عليكم فلعل لكم في القتال خيرا, لأن فيه إما الظفر والتضحية أو الشهادة والأجر, ولعل لكم في تركه شرا لكم, لأن فيه الذل والفقر وحرمان الأجر حيث أن الله أعلم بعواقب الأمور منكم وأدرى لما فيه صلاحكم في دنياكم وآخرتكم فبادروا إلى ما يأمركم به الله[3] حيث يقول سبحانه: **"كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ"**[4].

فرض الله الجهاد على كل مسلم فريضة لازمة حازمة لا مناص فيها ولا مفر منها، ورغب فيها أعظم الترغيب، وأجزل فيها ثواب المجاهدين والشهداء، فلم يلحقهم في مثوبتهم إلا من عمل بمثل عملهم ومن اقتدى بهم في جهادهم ومنحهم من الامتيازات الروحية والعملية في الدنيا والآخرة ما لم يمنحها سواهم، وجعل دماءهم الطاهرة الزكية عربون النصر في الدنيا وعنوان الفوز والفلاح في الآخرة[5].

---

[1] **صحيح البخاري**، 1040/3, تحقيق مصطفى ديب البغا.

[2] أبو بكر الجزائري، **منهاج المسلم**، 300.

[3] محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، 137/1.

[4] **البقرة**: 216 .

[5] حسن البنا، **مجموعة الرسائل**،41.

حكم التخلف عن الجهاد في سبيل الله

الذين يتخلفون عن الجهاد فهم نموذج لضعف الهمة، وطراوة الإرادة، وكثيرون هم الذين يشفقون من المتاعب، وينفرون من الجهد ويؤثرون الراحة الرخيصة على الكدح الكريم، ويفضلون السلامة الذليلة على الخطر العزيز، وهم يتساقطون إعياء خلف الصفوف الجادة الزاحفة العارفة بتكاليف الدعوات ولكن هذه الصفوف تظل في طريقها المملوء بالعقبات والأشواك لأنها تدرك بفطرتها أن كفاح العقبات والأشواك فطرة في الإنسان وأنه ألذ وأجمل من القعود والتخلف والراحة البليدة التي لا تليق بالرجال.

إن الذين أدركتهم ثقلة الأرض، ثقلة الحرص على الراحة، والشح بالنفقة، وقعد بهم ضعف الهمة وهزل النخوة، وخوار القلب من الإيمان، هؤلاء المخلفون فرحوا بالسلامة والراحة وتركوا المجاهدين يلاقون الحر والجهد وحسبوا أن السلامة غاية يحرص عليها الرجال قال تعالى"**وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**"[1] والقرآن يرد عليهم بالتهكم المنطوي على الحقيقة، فإن كانوا يشفقون في الحر ويؤثرون الراحة المسترخية في الظلال، فكيف بهم في حر جهنم وهي أشد حرا وأطول أمدا؟ وإنها لسخرية مريرة، ولكنها كذلك حقيقة، فإما كفاح في سبيل الله فترة محدودة في حر الأرض، وإما انطراح في جهنم لا يعلم مداه إلا الله وإنه لضحل في هذه الدنيا وأيامها المعدودة، وإنه لبكاء في أيام الآخرة الطويلة وإنّ يوما عند ربك كألف سنة مما يعدون، حيث أن الجزاء من جنس العمل وهو الجزاء العادل الدقيق[2]، قال تعالى: "**فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**"[3]

---

[1] **التوبة**: 81 .

[2] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 3/1682-1683

[3] **التوبة**: 82 .

إن قدر الله هو المسيطر على الأحداث والمصائر، يدفعها في الطريق المرسوم وينتهي بها إلى النهاية المحتومة، والموت أو القتل قدر لا مفر من لقائه، في موعده، لا يتقدم لحظة ولا يتأخر، ولا ينفع الفرار في دفع القدر المحتوم عن فار، فإذا فروا فإنهم ملاقو حتفهم المكتوب، في موعده القريب وكل موعد في الدنيا قريب، وكل متاع فيها قليل، ولا عاصم من الله، ولا من يحول دون نفاذ مشيئته سواء أراد بهم سوءا أو أراد بهم الرحمة ولا مولى لهم ولا نصير، من دون الله، يحميهم ويمنعهم من قدر الله , قال تعالى:" **قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿16﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴿17﴾** "[1].

فالاستسلام الاستسلام، والطاعة الطاعة، والوفاء الوفاء بالعهد مع الله في السراء والضراء ويرجع الأمر إليه والتوكل الكامل عليه ثم يفعل الله ما يشاء[2].

ثم يستطرد إلى تقرير علم الله بالمعوقين، الذين يقعدون عن الجهاد ويدعون غيرهم إلى القعود، ويقولون لهم" لا مقام لكم فارجعوا" ويرسم له صورة نفسية مبدعة، وهي تثير الضحك والسخرية من هذا النموذج المكروه من الناس، صورة الجبن والانزواء والفزع والهلع، في ساعة الشدة، والانتفاش وسلاطة اللسان عند الرخاء، والشح على الخير، والعنت ببذل أي جهد فيه والجزع والاضطراب عند توهم الخطر البعيد , والتعبير القرآني يرسم هذه الصورة في لمسات فنية مبدعة لا سبيل إلى استبدالها أو ترجمتها في غير سياقها المعجز.

---

[1] **الأحزاب**: 16-17 .

[2] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 2839/5.

ويبدأ هذا النص بتقرير علم الله المؤكد بالمعوقين الذين يسعون بالتخذيل في صفوف الجماعة المسلمة، الذين يدعون إخوانهم إلى القعود، ولا يأتون البأس إلا قليلا ولا يشهدون القتال إلا لماما، فهم مكشوفون لعلم الله، ومكرهم مكشوف ثم تأخذ الريشة المعجزة في رسم سمات هذا النموذج أشحة عليكم ففي نفوسهم كزازة على المسلمين كزازة بالجهد كزازة بالمال، وكزازة في العواطف والمشاعر على سواء , يقول تعالى : " **فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ**"[1]، وهي صورة شاخصة واضحة الملامح متحركة الجوارح وهي في الوقت ذاته مضحكة، تثير السخرية من هذا الصنف الجبان، الذي تنطلق أوصاله وجوارحه في لحظة الخوف بالجبن المرتعش الخوار.

وهم أشد إثارة للسخرية بعد أن يذهب الخوف ويجيء الأمن فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد، فخرجوا من الجحور وارتفعت أصواتهم بعد الارتعاش وانتفخت أوداجهم بالعظمة , ونفشوا بعد الانزواء , وادعوا دون حياء ما شاء لهم الادعاء من البلاء في القتال والفضل في الأعمال، والشجاعة والاستبسال.

ثم هم لا يبذلون للخير شيئا من طاقتهم وجهدهم وأموالهم وأنفسهم مع كل ذلك الادعاء العريض وكل ذلك التبجح وطول اللسان وهذا النموذج من الناس لا ينقطع في جيل ولا في قبيل فهو موجود دائما، وهو شجاع فصيح بارز حيثما كان هناك أمن ورخاء وهو جبان صامت حيثما كان هناك شدة وخوف وهو شحيح على الخير وأهل الخير لا ينالهم منه إلا سلاسة اللسان يقول تعالى:" **فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ**

---

[1] الأحزاب: 19 , انظر صفوة التفاسير , ج2 , ص446 .

لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا "[1]، فهذه هي العلة الأولى، العلة أن قلوبهم لم تخالطها بشاشة الإيمان ولم تهتد بنوره، ولم تسلك منهجه فأحبط الله أعمالهم ولم ينجحوا لأن عنصر النجاح الأصيل ليس هناك، وليس هناك عسير على الله وكان أمر الله مفعولا[2].

والقرآن لا يكتفي بحكاية أقوال المخلّفين والرد عليها، ولكنه يجعل من هذه المناسبة فرصة لعلاج أمراض النفوس، وهواجس القلوب، والتسلل إلى مواطن الانحراف لكشفها تمهيدا لعلاجها والطلب لها ثم لإقرار الحقائق الباقية والقيم الثابتة، وقواعد الشعور والتصور والسلوك حيث المخلفون من الأعراب سيقولون اعتذارا عن تخلفهم " سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا "[3]، وليس هذا بعذر فللناس دائما أهل وأموال ولو كان مثل هذا يجوز أن يشغلهم عن تكاليف العقيدة، وعن الوفاء بحقها ما نهض أحد قط بها وسيقولون: " فَاسْتَغْفِرْ لَنَا "[4]، وهم ليسوا صادقين في طلب الاستغفار كما ينبئ الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم– "يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ "[5]

هنا يرد عليهم بتقرير حقيقة القدر الذي يدفعه التخلف، ولا يغيره إقدام، وبحقيقة القدرة التي تحيط بالناس وتتصرف في أقدارهم كما تشاء – وبحقيقة العلم الكامل الذي يصرف الله قدره على وفقه فيقول تعالى: "قُلْ فَمَنْ

---

[1] الأحزاب: 19 .

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن، 2840/5.

[3] الفتح: 11.

[4] الفتح: 11.

[5] الفتح: 11.

يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا"[1].

وهو سؤال يوحي بالاستسلام لقدر الله، والطاعة لأمره بلا توقف ولا تلكؤ فالتوقف والتلكؤ لن يدفعا ضررا، ولا يؤخرا نفعا، وانتحال المعاذير لا يخفى على علم الله، ولا يؤثر في جزائه وفق علمه المحيط، وهو توجيه تربوي في وقته وفي جده وفي مناسبته على طريق القرآن[2].

إن الذي ينفق ويقاتل والعقيدة مطاردة، والأنصار قلة، وليس في الأفق ظل منفعة ولا سلطان ولا رخاء، غير الذي ينفق ويقاتل والعقيدة آمنة والأنصار كثرة والنصرة الفعلية موالية والفوز قريب المنال، ذلك متعلق مباشرة بالله، متجرد تجردا ظاهرا كاملا لا شبهة فيه، عميق الثقة والطمأنينة بالله وحده، بعيد عن كل سبب ظاهر وكل واقع قريب لا يجد على الخير عونا إلا ما يستمده مباشرة من عقيدة، وهذا له على الخير أنصار حتى حين تصح نيته ويتجرد تجرد الأولين.

وبعد أن قدر الله القيم الحقيقية في ميزانه لهؤلاء ولهؤلاء , عاد فقرر أن للجميع الحسنى حيث أنهم أحسنوا على تقارن فيما بينهم في الدرجات حيث مرد ذلك التفاوت وهذا الجزاء بالحسنى للجميع ، إلى ما يعلمه الله من تقرير أحوالهم، وما وراء أعمالهم من عزائم و حسن نواياهم وخبرته تعالى بحقيقة ما يعملون إذ يقول تعالى:" وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ

---

[1] **الفتح**: 11.

[2] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 6/3321-3322.

بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"[1]، حيث هي لمسة, فيها يقظة القلوب، وفي عالم النوايا المضمرة وراء الأعمال الظاهرة وهي التي تناط بها القيم، وترجح بها الموازين[2].

ثم يتكرر الهتاف للذين آمنوا مرة أخرى، إنّ الأموال والأولاد، قد تقعد الناس عن الاستجابة خوفا وبخلا، والحياة التي يدعو إليها رسول الله – صلى الله عليه وسلم– حياة كريمة، لا بد لها من تكاليف، ولا بد لها من تضحيات، لذلك يعالج القرآن هذا الحرص بالتنبيه إلى فتنة الأموال والأولاد , فهي موضع الابتلاء والاختيار والامتحان وبالتحذير من الضعف عن اجتياز هذا الامتحان ومن التخلف عن دعوة الجهاد، وعن تكاليف الأمانة والعهد والبيعة، واعتبار هذا التخلف خيانة لله وللرسول الكريم، وخيانة للأمانات التي تضطلع بها الأمة المسلمة في الأرض وهي إعلاء كلمة الله وتقرير ألوهيته وحده للعباد، والوصايا على البشرية بالحق والعدل، ومع هذا التحذير التذكير بما عند الله من أجر عظيم يفوق الأموال والأولاد، التي تقعد الناس عن التضحية والجهاد[3].

إنَّه الخطاب لأقوامٍ معينين في موقف معين, ولكنه عام في مدلوله لكل ذوي عقيدة في الله والعذاب الذي يتهددهم ليس العذاب الآخر وحده، فهو كذلك عذاب الدنيا، عذاب الذلة التي تصيب القاعدين عن الجهاد والكفاح، والغلبة عليهم للأعداء، والحرمان من الخيرات، واستغلالها للمعادين، وهم مع ذلك كله يخسرون من النفوس والأموال أضعاف ما يخسرون في الكفاح والجهاد، ويقدمون على مذبح الذل أضعاف ما تتطلبه منهم الكرامة لو قدموا

---

[1] **الحديد**: 10.

[2] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 6/3484-3485.

[3] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 3/1497.

لها الفداء، وما من أمة تركت الجهاد إلا ضرب الله عليها الذل فدفعت مرغمة صاغرة لأعدائها أضعاف ما كان يتطلبه منها كفاح الأعداء ويستبدل غيركم على العقيدة يقومون، ويؤدون ثمن العزة، ويستعلون على أعداء الله ولا يقام لكم وزن، ولا تقدمون أو تؤخرون في الحساب ولا يعجزه أن يذهب بكم ويستبدل قوما غيركم، ويغفلكم من التقدير والإحسان[1]، يقول تعالى " **أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ**"[2]

وتوعد الله سبحانه وتعالى المخلفين القاعدين بأفظع العقوبات ورماهم بأبشع النعوتات والصفات ووبخهم على الجنب والقعود، ونعى عليهم الضعف والتخلف، وأعد لهم في الدنيا خزيا لا يُرفع إلا إن جاهدوا، وفي الآخرة عذابا لا يفلتون منه ولو كان لهم مثل أُحد ذهبا، واعتبر القعود والفرار كبيرة من أعظم الكبائر وإحدى الموبقات السبع[3].

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 1656/3.

[2] **التوبة**: 38 , انظر صفوة التفاسير , ج1 , ص453 .

[3] حسن البنا، **مجموعة الرسائل**، 42.

الفصل الثالث: فضل العمل الجهادي

ورد في فضل الجهاد والاستشهاد في سبيل الله تعالى من الأخبار الإلهية الصادقة والأحاديث النبوية الصحيحة الثابتة ما يجعل الجهاد من أعظم القرب وأفضل العبادات، ومن تلك الأخبار الإلهية والأحاديث النبوية, قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"[1]، وقوله تعالى:" وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿169﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿170﴾"[2]

وقوله – صلى الله عليه وسلم– وقد سئل عن أفضل الناس؟ فقال: "مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله" قال: ثم من؟ قال: "مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله، ويدع الناس من شره"[3]. وقوله – صلى الله عليه وسلم– وقد سئل يا رسول الله، ما يعدل الجهاد في سبيل؟ قال: " إنكم لا تستطيعونه"، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً , كل ذلك يقول : "لا تستطيعونه " فقال في الثالثة :"مثَل المجاهد في سبيل الله مثلُ الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة و لا صيام ، حتى يرجع المجاهد في سبيل الله"[4].

---

[1] **التوبة**: 111.

[2] **آل عمران**: 169–170.

[3] الإمام النووي، **رياض الصالحين**، 389، متفق عليه.

[4] الإمام النووي، **رياض الصالحين**، 391، متفق عليه وهذا لفظ مسلم.

روي أن معاذ بن عفراء سأل النبي – صلى الله عليه وسلم– يوم بدر وقال : " يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده، قال : غمسه يده في العدو حاسرا، فنزع درعا كانت عليه، فقذفها، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قُتل"[1] وهذا إرشاد من النبي – عليه السلام – أنّ الذي يضحك الرب هو انغماس المجاهد في صفوف الأعداء واقتحامه عليهم , مثلما فعل هذا الصحابي الفدائي , وهذا بلا شك فيه دليل على فضل الأعمال الجهادية التي يغلب الظن على مصرع صاحبها"[2]

[1] مصنّف ابن أبي شيبة، 338/5، تحقيق محمد عوامة.

[2] أسامة حمدان، **العمليات الاستشهادية**، 6.

الجهاد فرض مطلق، وليس مقيدا بشيء، ولا مشروطا بشيء، فالآية فيه مطلقة حيث يقول تعالى: " **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ**"[1] فوجود الخليفة لا دخل له في فرض الجهاد, بل الجهاد سواء كان هناك خليفة للمسلمين أم لم يكن، إلا أنه حين يكون للمسلمين خليفة قد انعقدت خلافته شرعا، ولم يخرج عنها بسبب من أسباب الخروج، فإن أمر الجهاد موكول إلى الخليفة واجتهاده ما دام خليفة، حتى ولو كان فاجرا، ما دام باقيا في مركز الخلافة، ويلزم الرعية طاعته فيما يرى من ذلك، ولو أمر أي واحد منهم أن يغزو مع أمير فاجر[2]، لما روى أبو داوود بإسناده عن أبي هريرة قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–:"الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برا كان أو فاجرا"[3]

---

[1] **البقرة**: 216.

[2] تقي الدين النبهاني، **الشخصية الإسلامية**، 158/2.

[3] محمد أمير العظيم آبادي، **عون المعبود على سنن أبي داود، 1098. كتاب الجهاد، حديث رقم (2533)**، وهو حديث ضعيف.

الفصل الخامس: أنواع الجهاد

إن الجهاد قد يكون بالقلم واللسان، كما يكون بالسيف والسنان، وقد يكون الجهاد فكريا أو تربويا أو اجتماعيا، أو اقتصاديا، أو سياسيا، كما يكون عسكريا وكل هذه الأنواع بحاجة إلى الإمداد والتمويل، والمهم أن يتحقق الشرط الأساسي لذلك كله، وهو أن يكون في سبيل الله ، أي في نصرة الإسلام، وإعلاء كلمته في الأرض، فكل جهاد أريد به أن تكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله أيا كان نوع الجهاد وسلاحه[1].

فالنصرة لدين الله وطريقته وشريعته تتحقق بالغزو والقتال في بعض الأحوال، بل قد يتعين هذا الطريق في بعض الأزمنة والأمكنة لنصرة دين الله، ولكن قد يأتي عصر يكون الغزو الفكري والنفسي أهم وأبعد خطرا وأعمق أثرا من الغزو المادي والعسكري فإذا كان جمهور الفقهاء في المذاهب الأربعة قديما، قد حصروا هذا السهم في تجهيز الغزاة والمرابطين على الثغور، وإمدادهم بما يحتاجون إليه من خيل وكواع وسلاح، فنحن نضيف إليهم في عصرنا غزاة ومرابطين من نوع آخر، أولئك الذين يعملون على غزو العقول والقلوب بتعاليم الإسلام، والدعوة إلى الإسلام، أولئك هم المرابطون بجهودهم وألسنتهم وأقلامهم للدفاع عن عقائد الإسلام وشرائع الإسلام[2].

نلاحظ إن الجهاد في الإسلام لا ينحصر في الغزو الحربي والقتال بالسيف فقد صح عن النبي– صلى الله عليه وسلم – أنه سئل أي الجهاد أفضل؟ فقال: "أفضلُ الجهاد كلمة عدلٍ عند سلطان جائر" [3].

---

[1] يوسف القرضاوي، **فتاوى معاصرة**، 286/1.

[2] يوسف القرضاوي، **فتاوى معاصرة**، 287/1.

[3] رواه أحمد والنسائي والبيهقي في الشعب، والضياء المقدسي عن طارق بن شهاب.

وإن ما ذكرناه من ألوان الجهاد والنشاط الإسلامي لو لم يكن داخلا في معنى الجهاد بالنص, لوجب إلحاقه به بالقياس فكلاهما عمل يقصد به نصرة الإسلام والدفاع عنه، ومقاومة أعدائه، وإعلاء كلمته في الأرض[1].

وليعلم الجندي المجاهد إن أقل مراتب الجهاد إنكار القلب وأعلاها القتال في سبيل الله، وبين ذلك الجهاد , جهاد اللسان والقلم واليد وكلمة الحق عند السلطان الجائر، ولا تحيا الدعوة إلا بالجهاد، وبقدر سمو الدعوة وسعة أفقها تكون عظمة الجهاد في سبيلها وضخامة الثمن الذي يطلب لتأييدها وجزالة الثواب للعاملين[2].

---

[1] يوسف القرضاوي، **فتاوى معاصرة**، 287/1.

[2] مصطفى مشهور، **بين القيادة والجندية على طريق الدعوة**، 74.

الفصل السادس: آداب الجهاد .

للجهاد آداب يجب مراعاتها حيث إنها عوامل النصر, فمنها عدم إفشاء سر الجيش وخططه الحربية, فقد كان الرسول- صلى الله عليه وسلم- إذا أراد الخروج إلى غزوة إلا ورّى بعيرها، وكذلك عليهم استعمال الرموز والشعارات والإشارات بين أفراد الجيش , ليعرف بها بعضهم بعضا في حال اختلاطهم بالعدو أو قربهم من مكانه , فقد قال رسول - الله صلى الله عليه وسلم- :"إن بيّتكم العدو فقولوا: حم لا ينصرون " ، وكان شعار سرية غزت مع أبي بكر، " أمت، أمت"[1] واختيار الأماكن الصالحة للقتال وترتيب المقاتلين , واختيار الوقت المناسب , لشن الهجوم على العدو، إذ كان النبي- صلى الله عليه وسلم- من هديه في الحروب اختيار المكان والزمان المناسبين , لشن المعارك[2].

هذه هي عوامل النصر الحقيقية, الثبات عند القتال، والاتصال بالله بالذكر، والطاعة لله ولرسوله وتجنب النزاع والشقاق، والصبر على التكاليف في المعركة والحذر من البطر والرياء والبغي، حيث الثبات هو بدء الطريق إلى النصر، فأثبتُ الفريقين أغلبهما , ما يدري الذين آمنوا إن عدوهم يعاني أشد مما يعانون، وأنه يألم أكثر مما يألمون ؟ ولكنه لا يرجو من الله ما يرجون، فلا مدد له من الله ولا رجاء من عنده يثبّت أقدامه وقلبه, وإنهم لو ثبتوا لحظة أخرى فينخذل عدوهم وينهار، وما الذي يزلزل أقدام الذين آمنوا وهم واثقون من إحدى الحسنيين, الشهادة أو النصر؟، بينما عدوهم لا يريد إلا

---

[1] أخرجه الترمذي، وغيره فهو صحيح، وأمت فعل أمر من مات يموت.

[2] أبو بكر الجزائري، **منهاج المسلم**، 306- 305 .

الحياة الدنيا، وهو حريص على هذه الحياة التي لا أجل له وراءها ولا حياة له بعدها، ولا حياة له سواها[1].

ويقول تعالى:" **وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**"[2]. إنّ ذكر الله عند لقاء العدو يؤدّي وظائف شتى؛ إنه الاتصال بالقوة التي لا تُغلب، والثقة بالله الذي ينصر أولياءه، وهو في الوقت ذاته استحضار حقيقة المعركة وبواعثها وأهدافها، فهي معركة الله , لتقرير ألوهيته في الأرض وطرد الطواغيت المغتصبة لهذه الألوهية، إذاً فهي معركة ؛ لتكون كلمة الله هي العليا، لا للسيطرة، ولا للمغنم، ولا للاستعلاء الشخصي أو القومي كما إنه توكيد لهذا الواجب – واجب ذكر الله في أحرج الساعات وأشدّ المواقف، وكلها إيحاءات ذات قيمة في المعركة يحققها هذا التعليم الرباني[3]، ويقول تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**"[4].

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 1528/3.

[2] **النساء**: 104 .

[3] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 1528/3.

[4] **الأنفال**: 45 , انظر صفوة التفاسير , ج1 , ص429 .

الباب الثالث: (التعبئة الجهادية)

- ✓ **الفصل الأول: الإعداد والقوة**

- ✓ **الفصل الثاني: ركائز التعبئة الجهادية**

الفصل الأول: الإعداد والقوة

الإعداد للجهاد يكون بإحضار الأسباب وإيجاد العتاد الحربي بكافة أنواعه وهو فرض كالجهاد نفسه، غير أنه مقدم عليه وسابق له قال تعالى: " **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ**"[1]، وقال عقبة بن عامر رضي الله عنه:" سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي"[2]، وبناء على هذا فقد وجب على المسلمين سواء كانوا دولة واحدة أو دولا شتى أن يعدوا من السلاح ويهيئوا من العتاد الحربي ويدربوا من الرجال على فنون الحرب والقتال ما يمكن لا من رد هجمات العدو فحسب، بل من أجل الغزو في سبيل الله , لإعلاء كلمة الله ونشر العدل والخير والرحمة في الأرض.

كما يجب على المسلمين أن يعدوا من المصانع الحربية، المنتجة لكل سلاح وُجد في العالم أو يجد فيه، ولو أدى ذلك بهم إلى ترك كل ما ليس بضروري من المأكل والمشرب والملبس والمسكن، الأمر الذي يجعلهم يقومون بواجب الجهاد، ويؤدون فريضته على أحسن الوجوه وأكملها وإلا فهم آثمون وعرضة لعذاب الله في الدنيا والآخرة[3].

أراد الله للعصبة المسلمة أن تصبح أمة أو أن تصبح دولة، وأن يصبح لها قوة وسلطان، وأراد لها أن تقيس قوتها الحقيقية إلى قوة أعدائها، فترجع قوتها إلى قوة أعدائها، وأن نعلم أن النصر ليس بالعدد والعدة وليس

---

[1] **الأنفال**: 60 .

[2] الإمام النووي، **رياض الصالحين**، 398 , رواه مسلم، 53/6.

[3] أبو بكر الجزائري، **منهاج المسلم**، 303 – 304.

بالمال والخيل والزاد، إنما هو بمقدار اتصال القلوب بقوة الله التي لا تقف لها قوة العباد، وأن يكون هذا كله عن تجربة واقعية، لا عن مجرد تصور واعتقاد قلبي، ذلك لتزود العصبة المسلمة من هذه التجربة الواقعية لمستقبلها كله، ولتوقن كل عصبة مسلمة أنها تملك في كل زمان ومكان أن تتغلب على خصومها، وأعدائها مهما تكن هي من القلة ويكن عدوها من الكثرة، ومهما تكن هي من ضعف العدة المادية ويكن عدوها من الاستعداد والعتاد, وما كانت هذه الحقيقة لتستقر في القلوب كما استقرت بالمعركة الفاصلة بين قوة الإيمان وقوة الطغيان[1].

فالاستعداد بما في الطوق فريضة تصاحب فريضة الجهاد، والقرآن يأمر بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها، ويخص رباط الخيل؛ لأنه الأداة التي كانت بارزة عند من كان يخاطبهم بها القرآن أول مرة، ولو أمرهم بإعداد أسباب لا يعرفونها في ذلك الحين، مما سيجد مع الزمن لخاطبهم بمجهولات محيرة ، إذاً لا بد للإسلام من قوة ينطلق بها في الأرض لتحرير الإنسان وأول ما تصنعه هذه القوة في حقل الدعوة : أن تؤمِّن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها فلا يصدوا عنها، ولا يفتنوا كذلك بعد اعتناقها، والأمر الثاني: أن ترهب أعداء هذا الدين فلا يفكروا في الاعتداء على دار الإسلام التي تحميها تلك القوة، والأمر الثالث: أن يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء ألا يفكروا في الوقوف في وجه المد الإسلامي، وهو ينطلق لتحرير الإنسان كله في الأرض كلها، والأمر الرابع: أن تحطم هذه القوة كل قوة في الأرض تتخذ لنفسها صفة الألوهية، فتحكم الناس بشرائعها

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 1481/3.

هي وسلطانها، ولا تعرف بأن الألوهية لله وحده، ومن ثم فالحاكمية له وحده سبحانه[1].

قال تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا** "[2] وثبات جمع ثبة، أي مجموعة , والمقصود لا تخرجوا للجهاد فرادا، ولكن اخرجوا مجموعات صغيرة , أو الجيش كله, حسب طبيعة المعركة, وذلك لأن الآحاد قد يتصيدهم الأعداء المبثوثون في كل مكان , وبخاصة إذا كان هؤلاء الأعداء منبثين في قلب المعسكر الإسلامي.

وانفروا جماعات نظامية أو انفروا جميعا، ولا ينفر بعضكم ويتثاقل بعضكم وخذوا حذركم لا من العدو الخارجي وحده ولكن كذلك من المعوقين المبطئين المخذولين , سواء كانوا يبطئون أنفسهم أو يبطئون غيرهم معهم[3].

يجب تجنيد كل الكفاءات والاستعانة بكل الخبرات، الإسلامية أولا , والعالمية عند الضرورة في إعداد أقصى قوة حربية إسلامية مستقلة، ترهب أعداء الله وأعداء المسلمين، قادرة على صد المغيرين وتأديب المعتدين ومساندة المستضعفين، وعلى استرداد الأرض المغتصبة، وعلى الذود عن دعوة الإسلام، وعن دار الإسلام مهما اتسعت أطرافها، استجابة لأمر الله تعالى في كتابه حين قال : " **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ** "[4].

والعمل على وضع خطة جادة متكاملة للاستغناء نهائيا عن استيراد العتاد والسلاح من دول تخالف فلسفتها وعقيدتها – أيديولوجيتها – عقيدتنا وفلسفتنا

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 3/1542-1543.

[2] **النساء**: 71 , انظر صفوة التفاسير , ج1 , ص241 .

[3] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 2/705.

[4] **الأنفال**: 60 .

في الحياة وقد تخالف سياستها أيضا، وتوجهنا جبرا إلى سياستها فلا تبيعنا من السلاح ما نريد بل ما يوافقها، من حيث الكم والنوع، والطاقة، وشروط الاستعمال فضلا عن حاجتنا إلى خبراء من غير أمتنا يطلعون على أوضاعنا ويكشفون عوراتنا[1].

ومن جميل ما قاله الإمام الشهيد حسن البنا حول إعداد الرجال اللازمين والمناسبين لما نتصدى للقيام به في هذه الظروف الصعبة[2] : "وإن الأمة التي تحيط بها ظروف كظروفنا، وتنهض لمهمة كمهمتنا، وتواجه واجبات كتلك التي نواجهها، لا ينفعها أن تتسلى بالمسكنات أو تتعلل بالآمال والأماني، وإنما عليها أن تعد نفسها لكفاح طويل عنيف وصراع قوي شديد بين الحق والباطل وبين النافع والضار، وبين صاحب الحق وغاصبه وسالك الطريق وناكبه، وبين المخلصين والغيورين والأدعياء المزيفين، وأنَّ عليها أنْ تعلم أن الجهاد من الجهد، والجهد هو التعب والعناء، وليس مع الجهاد راحة حتى يضع النضال أوزاره، وعند الصباح يحمد القوم السري، وليس للأمة عدة في هذا السبيل الموحش إلا النفس المؤمنة والعزيمة القوية الصادقة، والسخاء بالتضحيات والإقدام عند الملمات، وبغير ذلك تغلب على أمرها ويكون الفشل حليف أبنائها[3].

---

[1] يوسف القرضاوي، **الحل الإسلامي فريضة وضرورة**، 73.

[2] انظر إلى مقال حسن البنا , جريدة الأخوان المسلمين , عدد (17) , 1934م .

[3] مصطفى مشهور، **بين القيادة والجندية**، 14-15.

الفصل الثاني: ركائز التعبئة الجهادية

أما دور التعبئة الجهادية فمهم في تغذية الثورة للمجاهدين، فبقدر نجاح الجهد الذي تبذله الثورة في تعبئة الأمة وتنمية روح الجهاد والمقاومة في نفوسها بقدر ما يتدافع أبناؤها للالتحاق بالثورة ومساندتها، وكذلك تدعيم المقاومة الشعبية التي تعتمد على إبراز مظاهر المعاداة والتمرد الجماهيري على الاحتلال من خلال خلق روح عدائية لكل ما هو صادر عن الاحتلال ومؤسساته، وتحريض الجماهير على المشاركة في أعمال المقاومة ذات الطابع العام , مثل إشعال النار والحرائق في كل ما يمكن أن تلتهمه مما يمتلكه الأعداء ورجم سيارات العدو بالحجارة والزجاجات الحارقة[1].

وتعتمد التعبئة الجهادية على ثلاث ركائز:

1. العقيدة: قد يستغرب الناس من شاب في مقتبل عمره يقبل على الشهادة في سبيل الله طائعا من نفسه، وبيده يضغط زر انطلاقة روحه إلى ربه، وتحار في فهم ذلك عقولهم ويتيهون، ولكنها العقيدة التي إن تمكنت من نفس المؤمن جعلته يعشق الموت كما يعشق الناس الحياة، يحرص على بذل المال كما يحرص على جمعه الناس , ليس من الدنيا في شيء وجل همه إرضاء الله .
2. روح العداء والانتقام: يجب تأصيل العداء في نفس كل مسلم، وتعميق معانيه وترسيخ مفهوم الثأر والانتقام ممن اغتصبوا أرضنا وأذلوا شعبنا، ممن هدموا بيوتنا ، ونهبوا قوتنا , ممن ارتكبوا بحقنا المذابح والمجازر، من قتلة الشيوخ والنساء والأطفال.

---

[1] محمود عيسى، **المقاومة بين النظرية والتطبيق**، 53-54.

3. الثقة بالنفس: لا يعرف طعم الانتصار شعب استحوذت على نفسه الهزيمة والضعف والخوار، ولن يقهر شعب يواجه الباطل في استعلاء , ويملأ نفسه عزة ومروءة وإباء [1] , ويرفض الذل والهوان .

وللجهاد الشرعي المحقق لإحدى الحسنيين السيادة أو الشهادة أركان وهي :

1- النية الصالحة، إذ الأعمال بالنيات، والنية في الجهاد أن يكون الغرض منه إعلاء كلمة الله تعالى لا غير, فقد سئل رسول الله_ صلى الله عليه وسلم _ عن الرجل يقاتل حمية، ويقاتل رياء فأي ذلك في سبيل الله؟ قال: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا , فهو في سبيل الله "[2].

2- أن يكون وراء إمام مسلم وتحت رايته وبإذنه حيث لا يجوز للمسلم أن يقاتل بغير إمام حيث يقول تعالى : **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ"**[3]. وبناء على ذلك على كل مجموعة من المسلمين تريد أن تجاهد غازية في سبيل الله أو أن تتحرر من قبضة الكافر أن تبايع أولا رجلا تتوفر فيه أغلب شروط الإمامة من علم وتقوى وكفاية ثم تنظم صفوفها.

3- إعداد العدة وإحضار ما يلزم للجهاد من سلاح وعتاد ورجال في حدود الإمكان مع بذل كامل للاستطاعة واستفراغ الجهد في ذلك.

4- رضا الأبوين وإذنهما لمن كان له أبوان أو أحدهما لقوله_ صلى الله عليه وسلم _ للرجل الذي استأذن في الجهاد: "أحيٌّ والداك"؟ قال نعم،

---

[1] محمود عيسى، **المقاومة بين النظرية والتطبيق**، 56.

[2] الإمام النووي، **رياض الصالحين**، 400 , متفق عليه .

[3] **النساء**: 59.

قال: "ففيهما فجاهد"[1]، إلا إذا داهم العدو القرية أو عين الإمام الرجل، فإنه يسقط إذن الأبوين.

5- طاعة الإمام، فمن قاتل وهو عاص للإمام، ومات فقد مات ميتة جاهلية[2]؛ لقوله – صلى الله عليه وسلم – : "من كره من أميره شيئا فليصبر عليه، فإنه ليس أحد من الناس خرج عن السلطان شبرا فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية"[3].

وليعلم الشباب المسلم أن المرحلة القادمة للعمل الإسلامي سيغلب عليها الجهاد ثم التمكين بإذن الله , فليعد جيل الشباب نفسه لذلك وليتعلم فقه الجهاد والقتال في سبيل الله، كما عليه أن يتعلم أن تحديد وقت الجهاد وميدانه من مهمات القيادة وليس متروكا للأفراد , وعليه يلزم تجنب التصرفات الفردية التي تورط الجماعة في ظروف ومواقف لم تتهيأ لها[4].

---

[1] الإمام النووي,رياض الصالحين, ص137, رواه مسلم .

[2] أبو بكر الجزائري، **منهاج المسلم**، 304-305 .

[3] صحيح مسلم، 21/6.

[4] مصطفى مشهور، **بين القيادة والجندية**، 74.

الباب الرابع: (الحضّ على الجهاد)

الحض على الجهاد:

إنّ جدية النصوص القرآنية الواردة في الجهاد، وجدية الأحاديث النبوية التي تحض عليه، وجدية الوقائع الجهادية في صدر الإسلام، وعلى مدى طويل من تاريخه إن هذه الجدية الواضحة، تمنع أن يجول في النفس ذلك التفسير الذي يحاول المهزومون أن يثبتوه أمام ضغط الواقع الحاضر وأمام الهجوم الاستشراقي الماكر على الجهاد الإسلامي، ومن ذا الذي يسمع قوله سبحانه في هذا الشأن وقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ويتابع وقائع الجهاد، ثم يظنه شأناً عارضا مقيدا بملابسات تذهب وتجيء ، ويقف عند حدود الدفاع لتأمين الحدود؟.

لقد بين الله للمؤمنين في أول ما نزل من الآيات التي أذن لهم فيها بالقتال , أن الشأن الدائم الأصيل في طبيعة هذه الحياة الدنيا أن يدفع الناس بعضهم ببعض لرفع الفساد , فيقول تعالى : " **إِذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ** "[1]. إذاً فهو الشأن الدائم لا الحالة العارضة، الشأن الدائم ألا يتعايش الحق مع الباطل في هذه الأرض، وإنه متى قام الإسلام بإعلانه العام , لإقامة ربوبية الله للعالمين وتحرير الإنسان من العبودية للعباد، رماه المغتصبون لسلطان الله في الأرض ولم يسالموا قط , فانطلق هو كذلك يدمرهم , ليخرج الناس من سلطانهم ويرفع عن الإنسان في الأرض ذلك السلطان الغاصب، حالة دائمة لا يقف معها الانطلاق الجهادي التحريري حتى يكون الدين كله لله[2].

---

[1] **الحج**: 39.

[2] سيد قطب، **معالم في الطريق**، 68.

وقال تعالى : " **فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**[1]، وقال أيضا:" **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** "[2]، إنها مبررات تقرير ألوهية الله في الأرض وتحقيق منهجه في حياة الناس، ومطاردة الشياطين ومناهج الشياطين، وتحطيم سلطان البشر الذي يتعبد الناس، والناس عبيد لله وحده، لا يجوز أن يحكمهم أحد من عباده بسلطان من عند نفسه وبشريعة من هواه ورأيه , و هذا يكفي مع تقرير مبدأ لا إكراه في الدين أي لا إكراه على اعتناق العقيدة، بعد الخروج من سلطان العبيد، والإقرار بمبدأ أن السلطان كله لله أو أن الدين كله لله.

إنها مبررات التحرير العام للإنسان في الأرض بإخراج الناس من العبودية للعباد إلى العبودية لله وحده بلا شريك، وهذه وحدها لا تكفي، لقد كانت هذه المبررات ماثلة في نفوس المجاهدين من المسلمين، فلم يسأل أحد منهم عما أخرجه للجهاد فيقول: خرجنا ندافع عن وطننا المهدد، أو خرجنا نصد عدوان الفرس أو الروم علينا نحن المسلمون، أو خرجنا نوسع رقعتنا ونستكثر من الغنيمة، لقد كانوا يقولون كما قال ربعي بن عامر[3]، وحذيفة ابن محصن، والمغيرة بن شعبة جميعا لرستم قائد جيش الفرس في القادسية، وهو يسألهم واحد بعد واحد في ثلاثة أيام متوالية قبل المعركة: ما الذي جاءكم به؟ فيكون الجواب: الله ابتعثنا ؛ لنخرج من يشاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل

---

[1] **النساء**: 74.

[2] **الأنفال**: 39.

[3] ينظر: منير محمد الغضبان، **فقه السيرة النبوية**، 175. أكرم ضياء العمري، **السِّيرةُ النَّبويَّةُ الصَّحيحَةُ مُحَاوَلَةٌ لِتَطبِيقِ قَوَاعِدِ المُحَدِّثِينَ فِيْ نَقْدِ رِوَايَاتِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّة**، 670/2.

الإسلام، فأرسل رسوله بدينه إلى خلقه فمن قبله منا قبلنا منه ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه، ومن أبى قاتلناه حتى نفضي إلى الجنة أو الظفر[1].

ومن حكمة الله عز وجل أن جعل الجهاد من أهم أسباب ثبات هذا الدين لقوله سبحانه وتعالى:" **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**"[2]، حيث تأتي الرسل بالبينات، ولا تقوم البينات إلا بالقوة والحديد ألا وهو الجهاد في سبيل الله؛ فديننا مصحف وسيف كما قال ابن تيمية شيخ الإسلام [3]: إنما كان قوام هذا كتابا يهدي، وسيفا ينصر وكفى بربك هاديا ونصيرا، حيث كان رسولنا – صلى الله عليه وسلم – يصلي بالناس ويقاتل أمام الناس فيحمل المصحف في الليل، قارئا، وتاليا، وعابدا، وناسكا ويحمل السيف في النهار مجاهدا ومقاتلا ومتقدما للصفوف[4].

فكم من امرأة تصرخ في فلسطين وفي الفلبين وفي غيرهما ولا يجيبها مجيب! وكم من طفل يقتل؟ وكم من مسجد يهدم؟ وكم من شعيرة لله –عز وجل– تعطّل؟ ثم لا يجيب مجيب، لقد بلغت الأمة من الذل والمهانة الشيء الكثير يوم تركت الجهاد وتخلت عن الدين يقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " إذا تبايعتم بالعينة, وأخذتم أذناب البقر, ورضيتم بالزرع , وتركتم الجهاد , سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجِعوا إلى دينكم"[5], حيث بيع

---

[1] سيد قطب، معالم في الطريق، 73–74 .

[2] الحديد: 25 , انظر صفوة التفاسير , ج3 , ص286 .

[3] ابن تيمية , السياسة الشرعية , 33 .

[4] عائض القرني، سلعة الله غالية، 31.

[5] سنن أبي داود، 332/5.

العينة منتشر اليوم وهو أن تشتري السلعة اليوم من الرجل دينا ثم يشتريها من باعها منك بأقل ثمن فورا, وقوله وأخذتم أذناب البقر إيجاز أن تتحول الأمة من أمة جهاد إلى أمة زراعة[1].

من هنا فلا حياة للأمة إلا بالجهاد، وبتربية أبنائها على خوض الصعاب والمنايا، لتعود الأمة عزيزة من جديد قال تعالى:" **انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**"[2].

ولما علم الله من أوليائه أنه يحبهم وأنهم يحبونه فتقدم أهل السلع يحملون أرواحهم على أكفهم، فقبل الله عز وجل منهم ما قدّموا لدينه وشريعته، حيث عرضوا سلعتهم على الله تعالى وقالوا: نبيع، ربح البيع، لا نقيل، ولا نستقيل[3].

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يُخرجه إلَّا إيمانٌ بيّ وتصديقٌ برسلي أنْ أُرْجِعَه بما نال من أجرٍ أو غنيمة أو أُدخله الجنة"[4] , أي ليس من أجل التراب ولا من أجل القومية، ولكن من أجل لا إله إلا الله .

وعن أنس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :" مَن طلب الشهادة صادقاً أُعطيها ولو لم تُصبه"[5].

إن الأخذ بأسباب القوة الحسية والتنظيم أهم هذه الأسباب، فريضة شرعية لا يجوز تعطيلها أو إهمالها بدليل قوله تعالى: "وأعدوا لهم ما استطعتم

---

[1] عائض القرني، سلعة الله غالية، 35–36.

[2] التوبة: 41 .

[3] عائض القرني، سلعة الله غالية، 39.

[4] رواه البخاري من حديث أبي هريرة.

[5] الإمام النووي، رياض الصالحين، 397 .

من قوة" ثم بدليل نص نبوي لا مجال لتأويله وهو قوله[1] – صلى الله عليه وسلم– :"إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه "، والحقيقة أن لا إتقان من غير التنظيم، بالغ ما بلغت من الطاقات والإمكانات، إذ العبرة بالكيف لا بالكم، والتنظيم جوهر الكيف ومادته الأولى والأهم[2].

إن الإسلام أمرنا بالجهاد وبذل النفس ولم يحدد لنا وسيلة معينة لهذا الجهاد بل ترك اختيار هذه الوسيلة ويتضح ذلك من قوله تعالى:" **تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ**"[3]، فالإسلام يأمر بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها كما يفهم من سياق الآيات القرآنية، حيث المطلوب هو الاستعداد الدائم لمواجهة الأعداء بجميع أوجه الإعداد المعنوي والمادي بما يناسب كل عصر و مكان، ولا يعقل أن الأعداء لا يبغون المستوى الحربي , لذا وردت كلمة القوة نكرة في قوله تعالى:" ما استطعتم من قوة " فهي تشمل مختلف أنواع القوى البرية والبحرية والجوية من حيوان وسلاح وألبسة وآلات ونفقات وتقنيات متطورة"(4).

ومن خلال الاستعراض لعدد الشواهد القرآنية والنبوية يتبين مدى اهتمام الإسلام بالجهاد الأمر الذي كشف سر الانتصارات الباهرة التي حققها الجيل القرآني الأول والفتوحات التي تمت على يديه، هذا السر هو أن الجيل القرآني الأول تربى على معاني الجهاد ووضع لبانه ساعة بساعة[5]. وقال تعالى:" **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ**"[6]

---

[1] الطبراني , **المعجم الأوسط** , ج1 , 275 .

[2] فتحي يكن، **أبجديات التصور الحركي**، 172.

[3] الصّف: 11.

[4] أسامة حمدان، **العمليات الاستشهادية**، 4 .

[5] فتحي يكن، **أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي**، 91.

[6] الأنفال: 65 .

ويستتبع الأمر حملة ضخمة للحض على الجهاد بالنفس والمال، والتنديد بالمعوقين والمبطئين والقاعدين وهي حملة تستغرق قطاعا كبيرا من السور القرآنية يرتفع عندها نبض السور الهادئة الأنفاس أو يشتد إيقاعها وتحمى لذعاتها في التوجيه والتنديد وهنا نكتفي بمقتطفات من القطاع منها , فيقول تعالى :" **وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا** "[1].وقال تعالى "**الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**"[2]. وفي هذه الثنايا هذه الحملة للحض على الجهاد توضع بعض قواعد المعاملات الدولية بين دار الإسلام والمعسكرات المتعددة التي تدور معها المعاملات، ويستتبع الأمر بالجهاد كذلك حملة ضخمة على المنافقين وعلى موالاتهم لليهود في المدينة بينما هم يكيدون لدين الله وللجماعة المسلمة وللقيادة المسلمة كيدا شديدا وعلى ألاعيبهم في الصف المسلم وتمييعهم للقيم والنظم , وفي تلك الآيات من قطاع الجهاد طرق من الحملة على المنافقين انضم إليه هذا القطاع المصور لحالهم وصفاتهم الكاشفة لطبيعتهم ووسائلهم يقول تعالى:" **وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿81﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿82﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي**

---

[1] **النساء**: 75.

[2] **النساء**: 76.

الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا"[1].

وفي قطاع الجهاد من القرآن العظيم نلتقي بالحرب المشبوهة على الجماعة المسلمة، وعلى العقيدة الإسلامية، والقيادة الإسلامية كذلك، من أهل الكتاب وحلفائهم من المنافقين , وهي الحرب التي التقينا بها في سور القرآن، ونلتقي كذلك بالمنهج الرباني، وهو يأخذ بيد الجماعة المسلمة السائرة بين الأشواك الخبيثة، وطبيعة المعركة التي تخوضها، وطبيعة الأرض التي تدور فيها المعركة، وزواياها وجوانبها الخبيثة.

ومن علامات الإعجاز في هذا القرآن، أنَّ هذه النصوص التي نزلت لتواجه معركة معينة، لا تزال هي بذاتها تصور طبيعة المعركة الدائمة المتجددة بين الجماعة المسلمة في كل مكان، وعلى توالي الأجيال، وبين أعدائها التقليديين، الذين ما يزالون هم هم، وما تزال حوافزهم هي هي , في أصلها وإن اختلفت أشكالها وظواهرها، وأسبابها القريبة، وما تزال أهدافهم هي، هي , في طبيعتها وإن اختلفت أدواتها ووسائلها، وما تزال زلزلة العقيدة وزعزعة الصف والتشكيك في القيادة الربانية, هي الأهداف التي تصوب إليها طلقاتهم الماكرة, للوصول من ورائها إلى الاستيلاء على مقاليد الجماعة المسلمة، والتصرف في مقاديرها، واستغلال أرضها وجهدها وغلاتها وقواها وطاقاتها، كما كانت اليهود تستغل الأوس والخزرج في المدينة قبل إن يعزهم الله ويجمعهم بالإسلام وبالقيادة المسلمة، وبالمنهج الرباني وقد حفلت هذه

---

[1] النساء: 81-83 .

السور بالحديث عن تلك المؤامرات التي لا تنقطع من اليهود ضد الجماعة المسلمة وبالاتفاق بين المنافقين والمشركين[1] .

فيجب مقاتلة العدو لإعلاء دين الله وبيّن ألا نبدأ بقتالهم فإنّ الله لا يحب من ظلم أو اعتدى وكان ذلك في بداية الدعوة ثم نسخ ذلك بآية من سورة براءة , إذ قال تعالى: "وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً"[2] بمعنى اقتلوهم حيث وجدتموهم في حل أو حرم , واقتلوهم جميعا مجتمعين غير متفرقين كما يقاتلكم المشركون جميعا ,أي كما يجتمعون لحربكم إذا حاربوكم فاجتمعوا أنتم أيضا لهم إذا حاربتموهم , وقاتلوهم بنظير ما يفعلون , ويحتمل أنه أذن للمؤمنين بقتال المشركين في الشهر الحرام إذا كانت البداءة منهم .

وقاتلوا المحاربين حتى تكسروا شوكتهم ولا يبقى شرك على وجه الأرض ويصبح الدين لله هو الظاهر العالي على سائر الأديان وبيّن إن انتهوا عن قتالكم فكفوا عن قتلهم فمن قاتلهم بعد ذلك فهو ظالم ولا عدوان إلا على الظالمين، أو فإن انتهوا عن الشرك فلا تعتدوا عليهم[3].

ويقول تعالى:" وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿191﴾ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"[4] ثم يوضح ألا تضعفوا عن الجهاد ولا تحزنوا على ما أصابكم

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 564/10-566.

[2] **التوبة: 36 , للتوضيح أكثر , انظر تفسير ابن كثير, وتفسير الطبري .**

[3] محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، 126/2.

[4] **البقرة:** 191-192.

من قتل أو هزيمة حيث بما أنكم مؤمنون فلا تهنوا ولا تحزنوا، قال تعالى:" **وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** "[1].

وقال تعالى:" **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**"[2] أم استفهام على سبيل الإنكار أي هل تظنون يا معشر المؤمنين أن تنالوا الجنة بغير ابتلاء وتمحيص ولما تجاهدوا في سبيله فيعلم الله جهادكم وصبركم على الشدائد؟ والمعنى: أظننتم يا معشر أصحاب محمد أن تنالوا الكرامة من ربكم ولمّا يتبين لعبادي المؤمنين , المجاهدون منكم في سبيل الله والصابرون عند البأس على ما ينالهم في ذات الله من ألم ومكروه؟[3].

يحض القرآن المؤمنين ويرغبهم بكل جهد في القتال وجهاد المشركين وقال ابن عباس[4]: هذا وعد كريم منه تعالى بغلبة كل جماعة من المؤمنين على عشرة أمثالهم، حيث إن يوجد منكم يا معشر المؤمنين عشرون صابرون على الشدائد والحروب يغلبوا مائتين من عدوهم بعون الله وتأييده، وإن يوجد منكم مائة تغلب ألفا من الكفار بعون الله، وذلك لأن الكفار قوم جهلة لا يعرفون ولا يفقهون حكمة الله ولا يعرفون طريق النصر وسببه، فهم يقاتلون على غير احتساب ولا طلب ثواب فلذلك يغلبون فقال ابن عباس: كان ثبات الواحد للعشرة فرضاً ثم لما شق ذلك عليهم نُسخ وأصبح ثبات الواحد لاثنين فرضاً.

---

[1] **آل عمران: 139.**

[2] **آل عمران: 142.**

[3] محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، 232/1.

[4] الحميدي , تفسير بن عباس , ج1 , 442 .

ويقول الله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۚ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ"[1]. ثم يدفع الله عن المسلمين ما فيه مشقة عليهم وعلم ضعفكم , فرحمكم في أمر القتال , وإن يوجد منكم مائة صابرة على الشدائد يتغلبوا على مائتين من الكفرة , وإن يوجد منكم ألف صابرون في ساحة اللقاء، يتغلبوا على ألفين من الأعداء أي بتيسيره وتسهيله حيث هذا ترغيب في الثبات وتبشير بالنصر أي أن الله معهم بالحفظ والرعاية والنصرة، ومن كان الله معه فهو الغالب[2]، يقول تعالى: "الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ "[3].

إن قلب المؤمن ينبغي أن يكون راسخا ثابتا لا تهزمه في الأرض قوة، وهو موصول بقوة الله الغالب على أمره، القاهر فوق عباده, وإذا جاز أن تنال هذا القلب هزة فإن هذه الهزة لا يجوز أن تبلغ أن تكون هذه هزيمة وفرارا، والآجال بيد الله، فما يجوز أن يولي المؤمن خوفا على الحياة، وليس في هذا تكليف للنفس فوق طاقتها، فالمؤمن إنسان يواجه عدوه إنسانا، فهما من هذه الناحية يقفان على أرض واحدة، ثم يمتاز المؤمن بأنه الموصول بالقوة الكبرى التي لا غالب لها، ثم إنه إلى الله إن كان حيا، وإلى الله إن كتبت له الشهادة، فهو في كل حال أقوى من خصمه الذي يواجهه وهو يشاق الله ورسوله.

---

[1] الأنفال: 65 , انظر الحميدي , تفسير ابن عباس , ج1 , 443 .

[2] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، 514/1.

[3] الأنفال: 66.

قال تعالى:" **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿15﴾ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴿16﴾** "[1]. لا بد أن نقف عند التعبير ذاته وما فيه من إيماءات عجيبة حيث هو تعبير عن الهزيمة في صورتها الحسية، مع التقبيح والتشنيع أو التعريض بإعطاء الأدبار للأعداء، ثم المهزوم مولٍ ومعه غضب الله ويذهب به إلى مأواه وبئس المصير وهكذا تشترك ظلال التعبير مع دلالته في رسم الجو العام، وتثير الوجدان شعور الاستقباح والاستنكار للتوالي يوم الزحف والفرار[2].

إن الرسول – صلى الله عله وسلم– إنما يدعوهم إلى ما يحييهم، إنها دعوة إلى الحياة بكل صور الحياة، وبكل معاني الحياة, إنه يدعوهم إلى شريعة الله التي تُعلن تحرر الإنسان وتكريمه بصدورها عن الله وحده , و وقوف البشر كلهم صفا متساويين في شريعتها لا يتحكم فرد في شعب، ولا طبقة في أمة، ولا جنس في جنس، ولا قوم في قوم ولكنهم كلهم أحرار متساويين في ظل شريعة صاحبها الله رب العباد.

ويدعوهم إلى الجهاد في سبيل الله لتقرير الألوهية لله سبحانه في الأرض وفي حياة الناس، وتحطيم ألوهية العبيد المدعاة، ومطاردة هؤلاء المعتدين على ألوهية الله سبحانه وحاكميته وسلطانه حتى يفيئوا إلى حاكمية الله وحده؛ وعندئذ يكون الدين كله لله حتى إذا أصابهم الموت في هذا الجهاد كان لهم في الشهادة حياة، حيث إن هذا الدين منهج حياة لا مجرد عقيدة، منهج واقعي تنمو الحياة في ظله وتترقى، ومن ثم هو دعوة إلى الحياة في كل صورها

---

[1] **الأنفال**: 15–16.

[2] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 1490/3.

وأشكالها وفي كل مجالاتها ودلالاتها، والتعبير القرآني يحمل هذا في كلمات قليلة موحية[1].

قال تعالى: " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** "[2].

قاتلوهم يجعلكم الله ستار قدرته، وأداة مشيئته، فيعذبهم بأيديكم ويخزهم بالهزيمة وهم يتخايلون بالقوة، وينصركم عليهم ويشف صدور جماعة من المؤمنين ممن آذاهم وشردهم من المشركين، يشفها من غيظها المكظوم، بانتصار الحق الكامل وهزيمة الباطل وتشريد المبطلين، وليس هذا وحده ولكنّ خيرا ينتظر وثوابا آخر يُنال، بانتصار المسلمين قد يرد بعض المشركين إلى الإيمان ويفتح بصيرتهم على الإيمان حيث يرون المسلمين ينتصرون ويحسبون أن قوة غير قوة البشر تؤيدهم، ويرون آثار الإيمان في مواقفهم وعندئذ ينال المسلمون المجاهدون أجر جهادهم، وأجر هداية الضالين بأيديهم، وينال الإسلام قوة جديدة تضاف إلى قوته بهؤلاء المهتدين التائبين؛ حيث إن الله عليم بالعواقب المخبوءة وراء المقدام، حكيم يقدر الأحكام والحركات[3]، حيث يقول تعالى: "**قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿14﴾وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿15﴾**"[4].

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 1494/3.

[2] **الأنفال**: 24.

[3] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 1612/3.

[4] **التوبة**: 14-15.

إن هذه الصفات القائمة لم تذكر على أنها شروط لقتال أهل الكتاب إنما ذكرت على أنها أمور واقعة في عقيدة هؤلاء الأقوام وواقعهم، وأنها مبررات ودوافع للأمر بقتالهم.

ومثلهم في هذا الحكم كل من تكون عقيدته وواقعه كعقيدتهم وواقعهم وقد حددت الآيات من هذه الصفات القائمة فهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق.

يقول تعالى:" **قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**"[1]. حيث أن هذه الآية تأمر المسلمين بقتال أهل الكتاب "الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر " , إن أهل الكتاب بصفاتهم تلك حرب على دين الله اعتقادا وسلوكا، كما أنهم حرب على المجتمع المسلم بحكم طبيعة التعارض والتصادم الذاتيين بين منهج الله ومنهج الكفر الممثل في عقيدة أهل الكتاب وواقعهم، كما أن الواقع التاريخي قد أثبت حقيقة التعارض وطبيعة التصادم، وعدم إمكانية التعايش بين المنهجين، بسبب وقوف أهل الكتاب في وجه دين الله فعلا، وإعلان الحرب عليه وعلى أهله بلا هوادة.

والإسلام لا بد أن ينطلق لإزالة العوائق المادية من جهة، ولتحرير الإنسان من الدينونة بغير دين الله من جهة أخرى ، على أن يدع لكل فرد حرية الاختيار؛ لذلك فإن الوسيلة العملية لضمان إزالة العوائق المادية وعدم الإكراه على اعتناق الإسلام في الوقت نفسه، هي كسر شوكة السلطان القائمة على غير دين الحق، حتى تستسلم، وتعلن إسلامها بقبول إعطاء الجزية فعلا،

---

[1] **التوبة:** 29 , انظر صفوة التفاسير , ج1 , ص449 .

وعندئذ تتم عملية التحرير فعلا، بضمان الحرية لكل فرد أن يختار دين الحق عن اقتناع , فإنْ لم يقتنع بقي على عقيدته وأعطى الجزية[1].

إن أهل الكتاب هؤلاء لا يقفون عند حد الانحراف عن دين الحق وعبادة أرباب من دون الله، وعدم الإيمان بالله واليوم الأخر، إنما هم كذلك يعلنون الحرب على دين الحق، ويريدون إطفاء نور الله في الأرض المتمثل في هذا الدين وفي الدعوة التي تنطلق به في الأرض، وفي المنهج الذي يصوغ على وفقه حياة البشر. يقول تعالى:" **يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**"[2].

هم محاربون لنور الله، سواء بما يطلقونه من أكاذيب ودسائس وفتن، أو بما يحرضون به أتباعهم وأشياعهم على حرب هذا الدين وأهله، والوقوف سداً في وجهه كما كان هذا الواقع الذي تواجهه هذه النصوص وكما هو الواقع على مر التاريخ.

وهو الوعد الحق من الله، الدال على سنته التي لا تتبدل، في إتمام نوره بإظهار دينه ولو كره الكافرون، وهو وعد تطمئن له قلوب الذين آمنوا، فيدفعهم هذا إلى المضي في الطريق على المشقة وللأواء في الطريق، وعلى الكيد والحرب من الكافرين، كما أنه يتضمن في ثناياه الوعيد لهؤلاء الكافرين وأمثالهم على مدار الزمن[3].

إنها ثقلة الأرض، ومطامع الأرض , و تصورات الأرض، ثقلة الخوف على الحياة، والخوف على المال، والخوف على اللذائذ، والمصالح، والمتاع، ثقلة الدعة والراحة والاستقرار، ثقلة الذات الفانية والأجل المحدود ,

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، 3/1631-1632.

[2] **التوبة**: 32 .

[3] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 3/1643.

والهدف القريب، ثقلة اللحم والدم والتراب، والتعبير يلقي كل هذه الظلال بجرس ألفاظه:"اثاقلتم" وهي بجرسها تمثل الجسم المسترخي الثقيل، يرفعه الرافعون في جهد فيسقط منهم في ثقل ويلقيها بمعنى ألفاظه، اثاقلتم إلى الأرض ومالها من جاذبية تشد إلى أسفل، وتقاوم رفرفة الأرواح وانطلاق الأشواق, يقول تعالى:" **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ**"[1]. إنّ النفرة للجهاد في سبيل الله انطلاق من قيد الأرض وارتفاع على ثقلة اللحم والدم، وتحقيق للمعنى العلوي في الإنسان وتغليب لعنصر الشوق في كيانه على عنصر القيد والضرورة، وتطلع إلى الخلود الممتد، وخلاص من الفناء المحدود، وما يحجم ذو عقيدة في الله عن النفرة للجهاد في سبيله إلا وفي هذه العقيدة دخل، وفي إيمان صاحبها وهن، لذا يقول الرسول _ صلى الله عليه وسلم_ : "مَن مات ولم يغزُ ولم يحدِّث نفسه بغزوٍ , مات على شعبة من النفاق"[2]

وهو دخل في العقيدة يعوقها عن الصحة والكمال، فالنفاق هو الذي يقعد بمن يزعم إنه على عقيدة الجهاد في سبيل خشية الموت أو الفقر والآجال بيد الله، والرزق من عند الله وما متاع الحياة الدنيا إلا قليل[3].

انفروا في كل حال وجاهدوا بالنفوس والأموال، ولا تتلمسوا الحجج والمعاذير ولا تخضعوا للعوائق، والثقلات، حيث إن المؤمنين المخلصين أدركوا هذا الخبر فنفروا , والعوائق في طريقهم، والأعذار حاضرة لو أرادوا التمسك بالأعذار، ففتح الله عليهم القلوب والأرضين، وأعز بهم كلمة الله وأعزهم بكلمة

---

[1] **التوبة** : 38 .

[2] الإمام النووي، **رياض الصالحين**، 400 , رواه مسلم.

[3] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 1655/3.

الله ، وحقق على أيديهم ما يعد خارقة في تاريخ الفتوح[1] يقول تعالى: "**انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**"[2].

يجب بث الإشاعة وروح الجهاد في الأمة وتقوية الروح المعنوية بين أبنائها , وإعدادهم ماديا ومعنويا , ليكون كل منهم مقاتلا في سبيل الله لا مراغما في سبيل الشهوات , وهذا يتطلب فرض التجنيد الإجباري على كل شباب الأمة وتدريبهم على أحدث أنواع القتال بأحدث أنواع الأسلحة , فإنَّ القوة الحربية ليست في السلاح وحده، بل في حسن استعماله كما أشار إلى ذلك النبي – صلى الله عليه وسلم– لقوله تعالى : "وأعدوا لهم"، حيث قال " وأعدُّوا لهم ما استطعتم من قوة , ألا إنّ القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي"[3]

على أن يستمر هذا التدريب بين حين وآخر بحيث لا تطول فترة انقطاع المدرب على سلاحه فينسى ويقول الرسول الكريم: "من عُلِّم الرمي ثم تركه، فليس منا، أو فقد عصى"[4].

لذلك يجب الإعداد الفكري والمعنوي والنفسي المستمر للترغيب في الجهد والتشويق إليه , بحيث يكون أبناء الأمة مستعدين للجهاد في أي وقت، وأية حالة طارئة، ولهذا جاء في الحديث: " من لم يغزُ، أو يجهِّز غازيا، أو يخلُف غازيا في أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة"[5]، ومن هنا

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 1657/3.

[2] **التوبة**: 41 .

[3] الإمام النووي، **رياض الصالحين**، 398 , رواه مسلم.

[4] الإمام النووي، **رياض الصالحين**، 399 .

[5] الإمام النووي، **رياض الصالحين**، 401 , رواه أبو داود بإسناد صحيح .

ربط الجهاد بالعقيدة التي تؤمن بها الأمة وتعيش لها وتستعذب الموت في سبيلها، فإن الجهاد من غير عقيدة يفقد معناه وروحه، وعقيدة أمتنا هي الإسلام، ولهذا لم تتجمع في تاريخها إلا على الجهاد في سبيل الله، وقد فسر رسولنا – صلى الله عليه وسلم– معنى سبيل الله فقال: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا , فهو في سبيل الله"[1]، وليس هناك أقوى تأثيرا في تاريخ معارك أمتنا من هذه الكلمات, الله أكبر أو وا إسلاماه، أو هبي يا ريح الجنة[2].

نلاحظ أنَّ القرآن يبدأ ببيان حقيقة الذين كفروا , وحقيقة الذين آمنوا في صيغة هجوم أدبي على الذين كفروا وتمجيد كذلك الذين آمنوا، مع إيحاء بأنَّ الله عدو للأولين ووليّ للآخرين.

وهذه حقيقة ثابتة في تقدير الله سبحانه وتعالى , فهو إذن بإعلان حرب من الله تعالى على أعدائه وأعداء دينه منذ اللفظ الأول في الآيات , وعقب إعلان هذه الحرب من الله على الذين كفروا، أمر صريح للذين آمنوا بخوض الحرب ضد الكافرين بصيغة رنانة قوية مع بيان لحكم الأسرى بعد الإثخان في المعركة والتقتيل العنيف، ومع هذا بيان لحكمة القتال والتشجيع عليه، والتكريم للاستشهاد فيه، والوعد من الله بإكرام الشهداء بالنصر لمن يخوض المعركة انتصار من الله ويهلك الكافرين وإحباط أعمالهم ومع ذلك تهديد عنيف للكافرين، وإعلان الولاية لله ونصرته للمؤمنين وضياع الكافرين وخذلانهم وضعفهم وتركهم بلا ناصر وبلا معين يقول تعالى: " **فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ**

---

[1] الإمام النووي، **رياض الصالحين**، 400 , متفق عليه.

[2] يوسف القرضاوي، **الحل الإسلامي فريضة وضرورة**،74 – 75.

وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ "[1].

ذلك الأصل الذي تقرر من عند الله سبحانه يترتب عليه توجيه المؤمنين لقتال الكافرين، فهم على الحق الثابت الذي ينبغي أن يتقرر في الأرض، ويستعلي ويهيمن على أقدار الناس والحياة ؛ ليصل الناس بالحق ويقيم الحياة على أساسه، والذين كفروا على الباطل الذي ينبغي أن يُبطل وتذهب آثاره من الحياة.

حيث اللقاء هنا هو اللقاء مع العدو للحرب والقتال لا مجرد اللقاء , فحتى نزول السورة , كان المشركون في الجزيرة فمنهم المحارب ومنهم المعاهد، ولم تكن بعد قد نزلت – براءة – التي تنهي عهود المشركين المحددة الأجل إلى أجلها والمطلقة الأربعة الأشهر وتأمر بقتل المشركين بعد ذلك أنّى وجدوا في أنحاء الجزيرة أو يسلمون؛ كي تخلص القاعدة للإسلام , حيث ضرب الرقاب المأمور به عند اللقاء يجيء بعد عرض الإسلام عليهم وإبائهم له طبعا، وهو تصوير لعملية القتل بصورتها الحسية المباشرة، وبالحركة التي تمثلها، تمشيا مع جو السورة وظلالها، والإثخان شدة التقتيل، حتى تتحطم قوة العدو وتتهاوى، فلا تعود به قدرة على هجوم أو دفاع، وعندئذ يؤسر من استأسر ويُشد وثاقه، فأما و العدو ما يزال قويا فالإثخان والتقتيل يكون الهدف منهما لتحطيم ذلك الخطر.

والإثخان يكون أولا , لتحطيم قوة العدو وكسر شوكته وبعد ذلك يكون الأسر، والحكمة ظاهرة، لأن إزالة القوة المعتدية والمعادية للإسلام هي الطرف الأول من القتال وبخاصة حيث كانت القوة العددية للأمة الإسلامية قليلة

---

[1] **محمد** : 4.

محدودة، وكانت الكثرة للمشركين والحكم ما يزال ساريا في عموم في كل زمان بالصورة التي تكفل تحطيم قوة العدو وتعجيزه عن الهجوم والدفاع، فأما الحكم في الأسرى بعد ذلك فقد قررته الآيات, فإما منا وإما فداء, أي إما أن يطلق سراحهم بعد ذلك بلا مقابل من مال , وإما أن يطلق سراحهم مقابل فدية من مال أو عمل ما, أو في نظير إطلاق سراح المسلمين المأسورين[1].

نقف ثانية أمام حب الله للذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص، نقف أمام هذا الإغراء القوي العميق على القتال في سبيل الله، وأول ما يسجل هنا أنه كان لمواجهة حال تقاعس وتخلف وكراهية للقتال، ولكن هذا السبب الغريب في الحادث المحدود لا ينفي أن الحض عام وأن وراءه حكمة دائمة، إن الإسلام لا يتشهى القتال، ولا يريده حبا فيه، ولكنه يفرضه لأن الواقع يحتمه، فالهدف الذي وراءه كبير، فالإسلام يواجه البشرية بالمنهج الإلهي في صورته الأخيرة المستقرة، وهذا المنهج يكلف النفوس جهدا لتسمو إلى مستواه ولتستقر على هذا المستوى الرفيع، وهناك قوى كثيرة في هذه الأرض لا تحب لهذا المنهج أن يستقر؛ لأنه يسلبها كثيرا من الامتيازات التي تستند إلى قيم باطلة زائفة، يحاربها هذا المنهج ويقضي عليها حين يستقر في حياة البشر.

وهذه القوى تستغل ضعف النفوس عن البقاء في المستوى الإيماني وتكاليفه، كما تستغل جهل العقول وموروثات الأجيال، لتعارض هذا المنهج وتقف في طريقه والشر عارم، والباطل متبجح، والشيطان لئيم، ومن ثم يتعين على حملة الإيمان وحراس المنهج أن يكونوا أقوياء ليغلبوا عملاء الشر وأعوان

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 3/3278-3282.

الشيطان، أقوياء في أخلاقهم، وأقوياء في قتال خصومهم على السواء، ويتعين عليهم أن يقاتلوا عندما يصبح القتال هو الأداة الوحيدة لضمان حرية الدعوة للمنهج الجديد، وحرية الاعتقاد به وحرية العمل وفق نظام مرسوم وهم يقاتلون في سبيل الله، لا في سبيل ذواتهم، أو عصبيتهم من إي لون، عصبية الجنس وعصبية الأرض وعصبية العشيرة، وعصبية البيت، في سبيل الله وحده، لتكون كلمة الله هي العليا والرسول – صلى الله عليه وسلم– يقول : "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا , فهو في سبيل الله"[1].

وكلمة الله هي التعبير عن إرادته، وإرادته الظاهرة لنا نحن البشر, هي التي تتفق مع الناموس الذي يسير عليه الكون كله، الكون الذي يسبح بحمد ربه , ومنهج الله في صورته الأخيرة التي جاء بها الإسلام هو الذي يتناسق مع ذلك الناموس ويجعل الكون كله يحكم بشريعة الله، لا شريعة يضعها سواه.

ولم يكن بد أن يقاومه أفراد، وأن تقاومه طبقات، وأن تقاومه دول، ولم يكن بد كذلك أن يمضي الإسلام في وجه هذه المقاومة ولم يكن بد أن يُكتب الجهاد على المسلمين لنصرة هذا المنهج، وتحقيق كلمة الله في الأرض , ولهذا أحب الله سبحانه وتعالى الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص[2].

يقول تعالى: "**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ**"[3]

---

[1] الإمام النووي، **رياض الصالحين**، 400 , متفق عليه.

[2] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 3554/6.

[3] **الصّف**: 4.

على كل جندي في الجماعة أن يوطن نفسه على الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، وأن يعلم علم اليقين أنه لن يتوقف اعتداء أعداء الله ولن تتحقق أهداف الدعوة إلا بالجهاد في سبيل الله، تلك الفريضة الماضية , فعليه أن يستصحب نية الجهاد وحب الاستشهاد بصفة دائمة، وأن يعد نفسه بالتزام صفات المؤمنين؛ لتتحقق له الصفة الرابحة مع الله , يقول تعالى: **"إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"**[1].

وليحذر جواذب الأرض من متاع و زخرف وليبتعد عن مظاهر الترف والرخاوة وأشباهها , حتى لا يتعرض إلى التثاقل إلى الأرض عند نداء النفير للجهاد فينالـه العذاب الأليم ويستبدل الله به غيره للقيام بواجب الجهاد و ليعلم أن الله غني عنه وعن جهاده[2]، ويقول تعالى : **" وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ"**[3].

وعلى المجاهد أن يروض نفسه على التضحية بكل غال ونفيس في سبيل الله، وألا يبخل على الدعوة بمال أو جهد أو وقت أو علم أو نفسه، فالدعوة تطلب منه كله لا بعضه، ثم إن ما يقدمه من خير يجده عند الله هو خير وأعظم أجراً يقول تعالى: **"ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا**

---

[1] **التوبة**: 111.

[2] مصطفى مشهور، **القيادة والجندية على طريق الدعوة**، 73.

[3] **العنكبوت**: 6.

مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ"[1].

وهذا إنذار من الله لمن يبخل بشيء في سبيل الله[2]، ويقول تعالى : "**هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ"[3].**

---

[1] **التوبة**: 120.

[2] مصطفى مشهور، **القيادة والجندية على طريق الدعوة**, 75.

[3] **محمد**: 38.

الباب الخامس: (هدف الجهاد في سبيل الله)

- ✓ الفصل الأول: **غاية العمل الجهادي**

- ✓ الفصل الثاني: **مدح العمل الجهادي**

الفصل الأول: غاية العمل الجهادي

إن **المسلم** قبل أن ينطلق للجهاد في المعركة، يكون قد خاض معركة الجهاد الأكبر في نفسه مع الشيطان، ومع هواه وشهواته, ومع مطامعه ورغباته، ومع مصالحه ومصالح عشيرته وقومه، مع كل شارة غير شارة الإسلام، ومع كل دافع إلا العبودية، وتحقيق سلطان الله في الأرض وطرد سلطان الطواغيت المغتصبين لسلطان الله والذين يبحثون عن مبررات للجهاد الإسلامي في حماية الوطن الإسلامي يغضون من شأن المنهج ويعتبرونه أقل من الوطن , وهذه ليست نظرة الإسلام إلى هذه الاعتبارات، إنها نظرة مستحدثة غريبة على الحس الإسلامي، فالعقيدة والمنهج الذي تتمثل فيه والمجتمع الذي يسود فيه هذا المنهج هي الاعتبارات الوحيدة في الحس الإسلامي , أما الأرض فقيمتها مستمدة من منهج الله فيها، وبهذا تكون محضن العقيدة وحقل المنهج ودار الإسلام ونقطة الانطلاق لتحرير الإنسان.

والحقيقة إن حماية دار الإسلام حماية للعقيدة والمنهج والمجتمع الذي يسود فيه المنهج، ولكنها ليست الهدف النهائي وليست حمايتها هي الغاية الأخيرة لحركة الجهاد الإسلامي، إنما حمايتها هي الوسيلة لقيام مملكة الله فيها , ثم لاتخاذها قاعدة انطلاق إلى الأرض كلها وإلى النوع الإنساني بجملته، فالنوع الإنساني هو موضوع هذا الدين والأرض هي مجاله الكبير[1].

إن غاية الجهاد في الإسلام هي هدم بنيان النظم المناقضة لمبادئه، وإقامة حكومة مؤسسة على قواعد الإسلام في مكانها واستبدالها بها، وهذه المهمة مهمة إحداث انقلاب إسلامي عام غير منحصرة في قطر دون آخر.

---

[1] سيد قطب، **معالم في الطريق**, 75-76.

بل ما يريده الإسلام ويضعه نصب عينه , أن يحدث هذا الانقلاب الشامل في جميع أنحاء المعمورة، هذه غايته العليا ، ومقصده الأسمى , الذي يطمح إليه ببصره ، إلا أنه لا ضرورة للمسلمين ، أو أعضاء الحزب الإسلامي عن الشروع في مهمتهم بإحداث الانقلاب المنشود والسعي وراء تغيير نظم الحكم في بلادهم التي يسكنوها، أما غايتهم العليا وهدفهم الأسمى فهو الانقلاب العالمي الشامل المحيط بجميع أنحاء الأرض، وذلك إن فكرة انقلابية لا تؤمن بالقومية، بل تدعو الناس جميعا إلى سعادة البشر وفلاح الناس أجمعين، لا يمكنها أصلا أن تضيق دائرة عملها في نطاق محدود من أمة أو قطر، بل الحق أنها مضطرة بسجيتها وجبلتها أن تجعل الانقلاب العالمي غايتها التي تضعها نصب عينها ولا تغفل عنها طرفة عين , فإن الحق يأبى الحدود الجغرافية ولا يرضى أن ينحصر في حدود جغرافية ضيقة اخترعها علماء الجغرافيا واصطلحوا عليها، فالحق يتحدى العقول البشرية النزيهة[1].

ومن الحكمة في الجهاد بأنواعه أن يعبد الله وحده مع ما يتبع ذلك من دفع العدوان والشر، وحفظ الأنفس والأموال، ورعاية الحق وصيانة العدل، وتعميم الخير، ونشر الفضيلة[2] ، قال تعالى : **" وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ "**[3].

لم تكن عسكريتنا ولا جهادنا كحروب الأمم من قبلنا ولا من بعدنا، فالعسكرية الإسلامية عسكرية قيم وإيمان، تحارب الفساد في الأرض، ولا

---

(1) سيد قطب، **في ظلال القرآن**, 1451/3.

(2) أبو بكر الجزائري، **منهاج المسلم**, 301.

(3) **الأنفال**: 39 .

تنشر الفساد فيها كما كان يفعل الفرس والروم، وتحقق العدل ولا تبسط الظلم، وتشيع الأمن ولا تشيع الخوف.

إن الجانب العسكري في حضارتنا يدخل في الجهاد، والجهاد بذل أقصى الجهد لتحقيق غاية معينة، والقتال نوع من أنواعه، والكلمة نوع من أنواعه، وفي الجهاد نجد المناخ الصالح لعبادة الله تعالى بالقضاء على كل فتنة تحول بين الإنسان وبين عبادة ربه , سواء أكانت هذه الفتنة سياسية أم اقتصادية، أم إعلامية أم اجتماعية، أم عسكرية، قال تعالى : " **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ**"[1]، وكذلك نصرة المظلومين والمستضعفين ورفع الظلم عنهم مهما كان لونهم أو جنسهم أو لغتهم، وكل مظلوم في الأرض حقه الإنصاف من ظالمه، وهذا يستفاد من قوله تعالى: " **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**"[2].

ومن غايته أيضا إرهاب العدو المتربص بالأمة، حتى لا يقتحم أرضها ويستذل أبناءها وإعداد العدة التي ترهب العدو واجب شرعي قال تعالى : " **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ**"[3]. لقد كان وضوح الهدف أمرا ظاهرا عند الجند المسلم والقائد المسلم على السواء، وكان

---

[1] **البقرة**: 193.

[2] **الحج**: 39 , انظر صفوة التفاسير , ج2 , ص253 .

[3] **الأنفال**: 60.

المسلمون في كل معركة يقرؤون سورة الأنفال على مسامع الجند وكانت التوجيهات العسكرية توضح الأهداف وتكشف عنها بجلاء[1].

ولا يذكر في القرآن الكريم لفظ القتال والجهاد إلا ويقرن بكلمة سبيل الله , وفي ذلك دلالة واضحة على أن الغاية من القتال غاية شريفة نبيلة هي إعلاء كلمة الله , لا السيطرة أو المغنم أو الاستعلاء في الأرض أو غيرها من الغايات الدنيئة[2].

يقول تعالى: "**الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**"[3] , وهذا يدلل أن المؤمنين يقاتلون لهدف سام ولغايته النبيلة وهي نصرة دين الله وإعلاء كلمته ابتغاء مرضاته فهو الله تعالى وليهم ونصيرهم، أما الكافرون فيقاتلون في سبيل الشيطان الداعي إلى الكفر والطغيان , وقاتلوا يا أولياء الله أعوان وأنصار الشيطان فإنكم ستغلبونهم , فشتان بين من يقاتل في سبيل الله ولإعلاء كلمته وبين من يقاتل في سبيل الشيطان, فمن قاتل في سبيل الله فهو الذي يغلب لأن الله وليه وناصره، ومن قاتل في سبيل الطاغوت فهو المخذول المغلوب، ولهذا جاء في الآية إن كيد الشيطان كان ضعيفا أي سعي الشيطان في حد ذاته ضعيف فكيف بالقياس مع قدر الله ؟ [4]، يقول تعالى : " **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** "[5].

---

[1] إبراهيم زيد الكيلاني وآخرون، **دراسات في الفكر العربي الإسلامي**، 288-289.

[2] محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، 127/1.

[3] **النساء**: 76.

[4] محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، 290/1.

[5] **الأنفال**: 39 , انظر , الحميدي , تفسير ابن عباس ,ج1, 443

وهذا يدلل على أن تقتلوا المشركين يا معشر المؤمنين حتى لا يكون شرك ولا يعبد إلا الله وحده، قال ابن عباس: "الفتنة شرك"، أي حتى لا يبقى مشرك على وجه الأرض، وقال ابن جريح[1] : حتى لا يفتن مؤمن عن دينه، وحتى تضمحل الأديان الباطلة ولا يبقى إلا دين الإسلام، قال الألوسي[2]: واضمحلالها إما بهلاك أهلها جميعا أو برجوعهم عنها خشية القتل[3]، لقوله – صلى الله عليه وسلم– : "أُمِرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله و أنَّ محمداً رسولُ الله "[4].

يأمر الله المسلمين أن يقاتلوا المشركين حتى لا تكون للكفر قوة يفتنون بها المسلمين، وحتى تتقرر الألوهية في الأرض له وحده، فيكون الدين كله لله، فإن أعلنوا الاستسلام قبل منهم المسلمون هذا, ونيتهم يحاسبهم بها الله، والله بما يعملون بصير، وإن تولوا وظلوا على حربهم وعنادهم وعدم اعترافهم بألوهية الله وحده وعدم استسلامهم لسلطان الله في الأرض، واصل المسلمون جهادهم، مستيقنين أن الله مولاهم ونعم المولى ونعم النصير[5].

وهذه حدود الجهاد في سبيل الله في كل زمان , حيث يقرر حكما دائما للحركة الإسلامية في مواجهة الواقع الجاهلي الدائم، حيث جاء الإسلام ليكون إعلانا عاما لتحرير الإنسان في الأرض من العبودية للعباد، ومن العبودية لهواه أيضا وهي من العبودية للعبادة، وذلك بإعلان ألوهية الله وحده سبحانه وربوبيته للعالمين، وإن معنى هذا الإعلان هو الثورة الشاملة على حاكمية البشر في كل صورها وأشكالها وأنظمتها وأوضاعها، والتمرد الكامل

---

[1] علي حسن عبد الغني, تفسير ابن جريح ,ص 147

[2] شهاب الدين الألوسي ,روح المعاني. ج9 ,ص2077.

[3] محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، 504/1.

[4] **صحيح البخاري**، 2538/6.

[5] سيد قطب، **في ظلال القرآن**, 1500/3.

على كل وضع في إرجاء الأرض، الحكم فيه للبشر في أيّ صورةٍ من الصور[1].

قال تعالى : " **فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**"[2]. فليقاتل في سبيل الله، فالإسلام لا يعرف قتالا إلا في هذا السبيل، لا يعرف القتال للغنيمة ولا يعرف القتال للسيطرة، ولا يعرف القتال للمجد الشخصي والقومي، إنه لا يقاتل للاستيلاء على الأرض، ولا للاستيلاء على السكان، لا يقاتل ليجد الخامات للصناعات والأسواق للمنتجات، أو لرؤوس الأموال ، التي يستثمرها في المستعمرات، إنه لا يقاتل لمجد شخصي، ولا لمجد بيت ، ولا لمجد طبقة ، ولا لمجد دولة، ولا لمجد جنس، إنما يقاتل في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله في الأرض و لتمكين منهجه من تصريف الحياة، ولتمتيع البشرية بخيرات هذا المنهج، وعدله المطلق بين الناس مع ترك كل فرد حراً في اختيار العقيدة التي يقتنع بها، في ظل هذا المنهج الرباني الإنساني العالمي العام[3].

ونقف لحظة أمام قوله تعالى : "**وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ** "[4]، وقوله: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**"[5] وفي كلتا الحالتين، حالة القتل وحالة النصرة، يشترط أن يكون هذا

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**, 1508/3.

[2] **النساء**: 74.

[3] سيد قطب، في ظلال القرآن, 707/2.

[4] سورة محمد :4.

[5] سورة محمد : 7.

لله وفي سبيل الله وهي لفتة بديهية، ولكن الكثير من الغبش يغطي عليهما عندما تتحرف العقيدة في بعض الأجيال، وعندما تمتهن كلمات الشهادة والشهداء والجهاد وترخص، وتتحرف عن معناها الوحيد القويم , إنه لا جهاد ولا شهادة ولا جنة , إلا حين يكون الجهاد في سبيل الله وحده , والموت في سبيله وحده والنصرة له وحده في ذات النفس وفي منهج الحياة ، لا جهاد ولا شهادة ولا جنة إلا أن يكون الهدف هو أن تكون كلمة الله هي العليا وأن تهيمن شريعته ومنهاجه في ضمائر الناس وأخلاقهم وسلوكهم، وفي تشريعهم وأوضاعهم على السواء.

عن أبي موسى– رضي الله عنه – قال: سئل رسول الله – صلى الله عليه وسلم– عن رجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء , أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا , فهو في سبيل الله"[1] , وليس هناك راية أخرى أو هدف آخر يُجاهد في سبيله، من يجاهد ويستشهد في سبيل الله فيحق له وعد الله بالجنة , إلا تلك الراية وإلا هذا الهدف ، من كل ما يروّج له في الأجيال منحرفة التصور من رايات وأسماء وغايات.

ويحسن أن يدرك أصحاب الدعوة هذه اللفتة البديهية وأن يخلِّصوها من الشوائب التي علقت في نفوسهم من منطلق البيئة وتصور الأجيال المنحرفة , و ألا يلبسوا راياتهم راية، ولا يخلطوا بتصورهم تصورا غريبا على طبيعة العقيدة، فلا جهاد إلا أن تكون كلمة الله هي العليا في النفس والضمير والعليا في الخلق والسلوك، والعليا في الأوضاع والنظم، والعليا في العلاقات والارتباطات في كل أنحاء الحياة ما عدا هذا فليس لله ، ولكنه للشيطان،

---

[1] الإمام النووي، **رياض الصالحين**, 400 , متفق عليه .

وفيما عدا هذا ليس هناك جنة ولا نصر من عند الله ولا تثبيت للأقدام , وإنما هو الغبش وسوء التصور والانحراف[1].

أتى على الناس حين من الدهر وهم يغمزون الإسلام بفريضة الجهاد وإباحة القتال حتى تحققت الآية الكريمة: "**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**"[2]. فها هم يعترفون بأن الاستعداد هو أضمن طريق للسلام ، فرض الله الجهاد على المسلمين لا أداة للعدوان ولا وسيلة للمطامع الشخصية , ولكن حماية للدعوة وضمان للمسلم وأداء للرسالة الكبرى التي حمل عبأها المسلمون، رسالة هداية الناس إلى الحق والعدل، وإن الإسلام كما فرض القتال شاد بالسلام فقال تعالى : "**وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**"[3]

كان المسلم يخرج للقتال وفي نفسه أمر واحد، وهو أن يجاهد لتكون كلمة الله هي العليا، وقد فرض دينه عليه ألا يخلط بهذا المقصد غاية أخرى، فحب الحياة عليه حرام، وحب الظهور عليه حرام، وحب المال عليه حرام، والغلول من الغنيمة عليه حرام، وقصد الغلب عليه بغير الحق عليه حرام، والحلال أمر واحد أن يقدم روحه ودماءه فداء لعقيدته وهداية للناس[4].

عن الحارث بن مسلم بن الحارث عن أبيه قال : " بعثنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في سرية فلمّا بلغنا المغارَ استحثثتُ فرسي فسبقتُ أصحابي , و تلقَّاني الحي بالرنين , فقلت لهم : قولوا لا إله إلَّا الله وحده

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**, 3288/6.

[2] **فصّلت**: 53.

[3] **الأنفال**: 61.

[4] حسن البنا: **مجموعة الرسائل**، 64.

تحرزوا ، فقالوها، فلامني أصحابي , وقالوا : حرمتنا الغنيمة ، فلمَّا قدِمنا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أخبروه بالذي صنعت ، فدعاني , فحسَّن لي ما صنعت , و قال : أمَا إنَّ الله تعالى قد كتب لك من كل إنسان منهم كذا وكذا , قال عبد الرحمن : فأنا نسيتُ الثواب , ثم قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : أمَا إنّي سأكتب لك بالوصاية بعدي , قال : ففعل وختم عليه , فدفعه إليَّ "[1].

[1] أخرجه أبو داود.

الفصل الثاني: مدح العمل الجهادي

إن الدخول في الإسلام صفقة بين متبايعين، الله _سبحانه وتعالى _هو المشتري والمؤمن فيها هو البائع، فهي بيعة مع الله لا يبقى بعدها للمؤمن شيء في نفسه ولا في ماله يحتجزه دون الله ودون الجهاد في سبيله؛ لتكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كله لله، فقد باع المؤمن لله في تلك الصفقة نفسه أو ماله مقابل ثمن محدود معلوم هو الجنة، وهو ثمن لا تعدله السلعة ولكنّه فضلٌ من الله ومنة منه[1].

إنه نص رهيب يكشف عن حقيقة العلاقة التي تربط المؤمنين بالله، وعن حقيقة البيعة التي أعطوها – بإسلامهم – طوال الحياة، فمن بايع هذه البيعة ووفي بها فهو المؤمن الحق الذي ينطبق عليه وصف المؤمن وتتمثل فيه حقيقة الإيمان، وإلا فهي دعوى تحتاج إلى التصديق والتحقيق.

وحقيقة هذه البيعة أو هذه المبايعة كما سماها الله كرما منه وفضلا وسماحة وأن الله – سبحانه– قد استخلص لنفسه أنفس المؤمنين وأموالهم، فلم يعد لهم منها شيء، لم يعد لهم أن يستبقوا منها بقية لا ينفقونها في سبيله , ولم يعد لهم خيار في أن يبذلوا أو يمسكوا – كلا– إنها صفقة مشتراة، لشاريها أن يتصرف بها كما يشاء، وفق ما يفرض ووفق ما يحدد، وليس للبائع فيها شيء سوى أن يمضي في الطريق المرسوم، لا يتلفت ولا يتحيز، ولا يناقش ولا يجادل، ولا يقول إلا الطاعة والعمل والاستسلام، والثمن هو الجنة، والطريق هو الجهاد والقتل والقتال، والنهاية هي النصر أو الاستشهاد[2].

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**, 1713/3.

[2] سيد قطب، **في ظلال القرآن**, 1716/3–1717.

إنها البيعة الرهيبة ولكنها في عنق كل مؤمن قادر عليها لا تسقط عنه إلا بسقوط إيمانه , ومن هنا تلك الرهبة التي أستشعرها اللحظة وأنا أخط هذه الكلمات.

يقول تعالى: "**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**"[1].

إنَّ الجهاد في سبيل الله بيعة معقودة بعنق كل مؤمن، كل مؤمن على الإطلاق , منذ كانت الرسل ومنذ كان دين الله، إنها السنة الجارية التي لا تستقيم هذه الحياة بدونها ولا تصلح الحياة بتركها , يقول تعالى : " **وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** "[2].

وهنا نجد أمرا بقتال الذين يلوون المسلمين من الكفار , لا يذكر فيه أن يكونوا معتدين على المسلمين ولا على ديارهم، وندرك أن هذا هو الأمر الأخير الذي يجعل الانطلاق بهذا الدين هو الأصل الذي ينبثق منه مبدأ الجهاد، وليس مجرد الدفاع، إنهم ينسون أن الجهاد في سبيل الله تعالى جهاد لتقرير ألوهية الله في الأرض وطرد الطواغيت المغتصبة لسلطان الله، جهاد لتحرير الإنسان من العبودية لغير الله ومن فتنته بالقوة عن الدينونة لله وحده والانطلاق من العبودية للعباد، وأنه ليس جهادا لتغليب مذهب بشري على مذهب بشري مثله.

---

[1] **التوبة**: 111 .

[2] **الحج**: 40 .

إنما هو جهاد لتغليب منهج الله على مناهج العبيد، وليس جهادا لتغليب سلطان قوم على سلطان قوم آخرين، إنما هو جهاد لتغليب سلطان الله على سلطان العبيد، وليس جهادا لإقامة مملكة العبد، إنما هو جهاد لإقامة مملكة الله في الأرض , ومن ثم ينبغي أن ينطلق في الأرض كلها لتحرير الإنسان كله[1]، يقول تعالى : **" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ "**[2].

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**, 1737/3.

[2] **التوبة**: 123 , انظر صفوة التفاسير , ج1 ,ص481 .

الباب السادس: (بين المجاهد والشهيد)

- ✓ الفصل الأول: **صورة المجاهد في الإسلام**

- ✓ الفصل الثاني: **صورة الشهيد في الإسلام ومكانته**

الفصل الأول : صورة المجاهد في الإسلام .

أحكام لا بد معرفتها للمجاهد , الجهاد بغير إذن الإمام أو نائبه مكروه، ولكنه ليس حراما، وتستثنى من الكراهة الحالات التالية:

الأولى: إذا استأذن الواحد أو الجماعة الإمام للجهاد فات المقصود ؛ لأن الجهاد حالة قائمة ماسة لا تنتظر التأخير والاستئذان[1].

الثانية: إذا عطل الإمام الجهاد وأقبل هو وجنوده على الدنيا، مما هو مشاهد في هذه الأعصار والأمصار، فلا كراهة في الجهاد بغير إذن الإمام، لأن الإمام معطِّل للجهاد , و المجاهدون يقومون بالفرض المعطل.

الثالثة: إذا كان من يريد الجهاد لا يقدر على الاستئذان، لأنه يعلم أنه لو استأذن لم يؤذن له.

وقال ابن قدامة [2] : فإنْ عُدِمَ الإمامُ لم يُؤَخَّر الجهاد, لأنَّ مصلحتَه تفوتُ بتأخيره.

صورة الشهيد عند الإمام حسن البنّا .

أستطيع أن أصور المجاهد بأنه شخص قد أعد عدته، وأخذ أهبته، وملك عليه الفكر فيما هو فيه نواحي نفسه وجوانب قلبه فهو دائم التفكير، وعظيم الاهتمام، على قدر الاستعداد أبداً، إن دعي أجاب، وإن نودي لبى، غدوة وروحة، حديثه وكلامه، جده ولعبه، لا يتعدى الميدان الذي أعد نفسه له، ولا يتناول سوى المهمة التي وقفت عليها حياته وإرادته، يجاهد في سبيلها، تقرأ في قسمات وجهه وترى بريق عينه وتسمع في فلتات لسانه، ما يدلك على ما يضطرم به القلب، من جوى لاصق، وألم دفين، وما تفيض به نفسه من عزيمة صادقة، وهمة عالية، وغاية بعيدة، أما المجاهد الذي ينام ملء جفنه،

---

[1] الدمياطي، **مشاريع الأشواق إلى مصارع العشاق**، 367-368.

[2] ابن قدامة , **عبد الله بن محمد , المغني** , ج13 , ص17 .

ويأكل ملء ماضغيه ويضحك ملء شدقيه، ويقضي وقته لاهيا لاعبا عابثا، فهيهات أن يكون من الفائزين أو يكتب من عداد المجاهدين[1].

مكانة المجاهد:

يبين الله تعالى أن المؤمنين الذين فارقوا الأهل والأوطان، وجاهدوا الأعداء؛ لإعلاء دين الله، أولئك لهم الرحمة والمغفرة العظيمة يقول تعالى: "**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**"[2]. أي قاتلوا الكفار لإعلاء دين الله لا لحظوظ النفس وأهوائها واعلموا أن الله سميع لأقوالكم، عليم بنياتكم وأحوالكم فيجازيكم عليها، وكذلك إن الحذر لا يغني من القدر فكذلك الفرار من الجهاد لا يقرب أجلا ولا يبعده، قال تعالى :" **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**"[3].

فليقاتل المخلصون الباذلون أنفسهم وأموالهم في سبيل الله الذين يبيعون الحياة الفانية بالحياة الباقية وهذا وعد من الله _ سبحانه وتعالى _ بالأجر العظيم لمن قاتل في سبيل الله سواء غَلَبَ أو غُلِبَ؛ أي من يقاتل في سبيل الله لإعلاء كلمة الله فيستشهد أو يظفر على الأعداء فسوف نعطيه ثوابا جزيلا فهو فائز بإحدى الحسنيين الشهادة أو الغنيمة[4]، قال تعالى:" **فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**"[5]

---

[1] جاسم بن الياسين، **القيادة، الأسباب الذاتية للتنمية القيادية**، 68.

[2] **البقرة**: 218 .

[3] **البقرة**: 244 .

[4] محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، 289/1.

[5] **النساء**: 74 .

والذين جاهدوا في سبيل الله ليصلوا إليه، ويتصلوا به، الذين احتملوا في الطريق إليه ما احتملوا فلم ينكصوا ولم ييأسوا، الذين صبروا على فتنة النفس وعلى فتنة الناس الذين حملوا أعباءهم وساروا في ذلك الطريق الطويل الشاق الغريب , أولئك لم يتركهم الله وحدهم ولن يضيّع إيمانهم، ولن ينسى جهادهم، إنه سينظر إليهم من عليائه فيرضيهم وسينظر إلى جهادهم إليه فيهديهم وسينظر إلى محاولتهم في الوصول إليه فيأخذ بأيديهم وسينظر إلى صبرهم وإحسانهم فيجازيهم خير الجزاء[1]، يقول تعالى: "**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** "[2].

صفات المجاهد:

هذا خطاب على وجه التحذير والوعيد؛ أي يا معشر المؤمنين من يرجع منكم عن دينه الحق، ويبدله بدين آخر ويرجع عن الإيمان إلى الكفر، فسوف يأتي الله مكانهم بأناس مؤمنين يحبهم الله ويحبونه حيث أنهم رحماء متواضعون للمؤمنين أشداء متعززون على الكافرين، قال ابن كثير[3]: وهذه صفات المؤمنين الكاملين أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه متمردا على عدوه، ومن علامات حب الله تعالى للمؤمنين أن يكون لين الجانب متواضعا لإخوانه المؤمنين ، متسربلا بالعزة حيال الكافرين والمنافقين، ويجاهدون لإعلاء كلمة الله ولا يبالون لمن لامهم فهم صلاب في دين الله لا يخافون في ذات الله أحداً، ومن يتصف بهذه الصفات فإنما هو من فضل الله عليه وتوفيق الله له ،

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، 2752/5.

[2] العنكبوت: 69 .

[3] ابن كثير , تفسير القرآن العظيم , ج3 , 135 .

والله واسع الإحسان والأفضال عليم لمن يستحق[1]. يقول تعالى : " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**"[2].

إن الجهاد في سبيل الله ليس مجرد اندفاعة إلى القتال، إنما هو قمة تقوم على قاعدة من الإيمان المتمثل في مشاعر وشعائر وأخلاق وأعمال, والمؤمنون الذين عقد معهم البيعة، والذين تتمثل فيهم حقيقة الإيمان هم قوم تتمثل فيهم صفات إيمانية أصيلة قال تعالى: " **التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**"[3].

هذه هي الجماعة المؤمنة التي عقد الله معها بيعته، وهذه هي صفاتها ومميزاتها، توبة ترد العبد إلى الله، وتكفه عن الذنب، وتدفعه إلى العمل الصالح، وعبادة تصله بالله وتجعل الله معبوده وغايته ووجهته، وحمدٌ لله على السراء والضراء نتيجة الاستسلام الكامل لله ، والثقة المطلقة برحمته وعدله وسياحة في ملكوت الله مع آيات الله الناطقة في الكون، الدالة على الحكمة والحق في تصميم الخلق، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر يتجاوز صلاح الذات إلى إصلاح العباد والحياة، وحفظ لحدود الله يرد عنها العادين والمضيّعين، ويصونها من التهجم والانتهاك.

ليست الحياة لهوا ولعبا، وليست الحياة أكلا كما تأكل الأنعام ومتاعا، ليست الحياة سلامة ذليلة، وأمة بليدة ورضى بدار السلم الرخيصة، إنما هي هذه،

---

[1] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، 350/2.

[2] **المائدة:** 54

[3] **التوبة:** 112.

كفاح في سبيل الحق، وجهاد في سبيل الخير، وانتصار لإعلاء كلمة الله، أو استشهاد كذلك في سبيل الله، ثم الجنة والرضوان، هذه الحياة التي يدعو إليها المؤمنون بالله[1]، قال تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**"[2].

فضل المجاهد:

إنه على الظمأ جزاء وعلى التعب جزاء، وعلى الجوع جزاء، وعلى كل موطئ قدم يغيظ الكفار جزاء، وعلى كل نيل من العدو جزاء، يُكتب به للمجاهد عمل صالح أو يحسب به من المحسنين الذين لا يضيع الله لهم أجرا، وإنه على النفقة الصغيرة أو الكبيرة أجر، وعلى الخطوات لقطع الوادي أجر، أجر كأحسن ما يعمل المجاهد في الحياة.

ألا والله إن الله ليجزل لنا العطاء, وإنها والله لسماحة في الأجر والسخاء وإنه لما يخجل أن يكون ذلك كله على أقل مما احتمله رسول الله – صلى الله عليه وسلم– من الشدة واللأواء, في سبيل هذه الدعوة التي نحن فيها خلفاء و عليها بعده أمناء, قال تعالى:" **مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ**

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 1719/3.

[2] **الأنفال**: 24.

أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿120﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿121﴾"[1].

والوجه في هذا ما ذهبنا إليه وله أصيل من تأويل ابن عباس[2]– رضي الله عنهما– ومن تفسير حسن البصري واختيار ابن جرير[3] وقول لابن كثير[4]: إن هذا الدين منهج حركي لا يفقهه إلا من يتحرك به، فالذين يخرجون للجهاد به هم أولى الناس بفقهه إنما تتكشف لهم أسراره ومعانيه، وبما يتجلى لهم من آياته وتطبيقاته العملية في إثناء الحركة به، أما الذين يقعدون فهم الذين يحتاجون إن يتلقوا ممن تحركوا لأنهم لم يشاهدوا ما شاهد الذين خرجوا، ولا فقهوا فقههم، ولا وصلوا من أسرار هذا الدين إلى ما وصل إليه المتحركون وبخاصة إذا كان الخروج مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم– والخروج بصفة عامة أدى إلى الفهم والتفقه[5].

ونلاحظ أن القرآن يقرر قاعدة عامة يطلقها من قيود الزمان وملابسات البيئة، ويجعلها هي القاعدة، التي ينظر الله بها إلى المؤمنين في كل زمان ومكان، قاعدة عدم الاستواء بين القاعدين من المؤمنين عن الجهاد بالأموال والأنفس , غير أولي الضرر, الذين يقعدهم العجز عن الجهاد بالنفس، أو يقعدهم الفقر والعجز عن الجهاد بالنفس والمال، وعدم الاستواء بين هؤلاء القاعدين والآخرين الذين يجاهدون بأموالهم وأنفسهم, قاعدة عامة على الإطلاق حيث لا يتركها مبهمة بل يوضحها ويقررها ويبين عدم طبيعة عدم الاستواء بين الفريقين، حيث يقول سبحانه وتعالى : **"لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ**

---

[1] **التوبة**: 120–121 .

[2] عبد العزيز الحميدي , تفسير ابن عباس,ص474 .

[3] محمد بن جرير الطبري , تفسير الطبري , ج14, ص561.

[4] إسماعيل بن كثير, تفسير ابن كثير, م1 , ص501.

[5] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 3/1734–1735.

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا"[1]

وهذه الدرجة يمثلها رسول الله – صلى الله عليه وسلم– في مقامهم في الجنة، ففي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قال : " إنَّ في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض"[2].

ثم يعود السياق بعد تقرير هذا الفارق في المستوى بين القاعدين من المؤمنين– غير أولي الضرر– والمجاهدين بأموالهم وأنفسهم، فيقرر إن الله وعدهم جميعهم الحسنى وهذا التوكيد وهذه الوعود , وهذا التمجيد للمجاهدين ، والتفضيل على القاعدين والتلويح بكل ما تهفو له نفس المؤمن من درجات الأجر العظيم، ومن مغفرة الله ورحمته للذنوب والتقصير[3].

طبيعة الجهاد:

ونقف أمام الحالة التي يحب الله المجاهدين أن يقاتلوا وهم عليها، قال تعالى : **"إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ"**[4]. فهو تكليف فردي في ذاته ولكنه فردي في صورة جماعية، في جماعة ذات نظام، ذلك إن الذين يواجهون الإسلام يواجهونه بقوى جماعية ويؤلبون إليه تجمعات ضخمة، فلا بد لجنود الإسلام أن يواجهوا أعداءه صفا

---

[1] **النساء**: 95.

[2] الإمام النووي، **رياض الصالحين**، 380, رواه البخاري.

[3] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 741/2.

[4] **الصّف**: 4.

سويا منتظما، و صفا متينا راسخا ذلك إلى أن طبيعة هذا الدين حيث يغلب ويهيمن إنما يهيمن على جماعة و ينشئ مجتمعا متماسكا متناسقا، فصورة الفرد المنعزل , بعيد وحده، ويجاهد وحده، ويعيش وحده، صورة بعيدة عن طبيعة هذا الدين، وعن مقتضياته في حالة الجهاد، وفي حالة الهيمنة بعد ذلك على الحياة.

وهذه الصورة التي يحبها الله للمؤمنين ترسم لهم طبيعة دينهم وتوضح لهم معالم الطريق، وتكشف لهم عن طبيعة التضامن الوثيق الذي يرسمه التعبير القرآني المبدع حيث أنه بنيان تتعاون لبناته وتتضامن وتتماسك، وتؤدي كل لبنة دورها، وتسد ثغرها، لأن البنيان كله ينهار إذا تخلت منه لبنة عن مكانها، تقدمت أو تأخرت سواء.

إنه التعبير المصور للحقيقة لا لمجرد التشبيه العام، التعبير المصور لطبيعة الجماعة، ولطبيعة ارتباطات الأفراد في الجماعة، ارتباط الشعور، وارتباط الحركة، داخل النظام المرسوم، المتجه إلى الهدف المرسوم[1].

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 3555/6.

الفصل الثاني: صورة الشهيد في الإسلام ومكانته

حتى نعرف إلى أين تذهب أرواح الشهداء يبين رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ذلك فعن أنس – رضي الله عنه – أنَّ أم الرُّبيّع بنت البراء – رضي الله عنها–، وهي أم حارثة بن سراقة أتت النبي – صلى الله عليه وسلم – فقالت : يا رسول الله , ألا تحدِّثني عن حارثة ؟ وكان قد قتل يوم بدر , فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء، فقال: " يا أم حارثة, إنها جنان من الجنة , وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى"[1].

أما من هم الشهداء[2] فكما ورد عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– في حديث رواه أبو هريرة – رضي الله عنه– يقول فيه:" ما تعدون الشهداء فيكم" ؟ : قالوا: يا رسول الله، من قتل في سبيل الله فهو شهيد, قال: " إن شهداء أمتي إذاً لقليل" , قالوا: فمن يا رسول الله ؟، قال: "من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد، قال ابن مقسم: اشهد على أبيك – يعني أبا صالح أنه قال: والغرق شهيد"[3].

أخرج ابن المنذر عن قتادة في قوله تعالى: "**دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**"[4] قال: ذكر لنا معاذ بن جبل كان يقول: إن للقتيل في سبيل الله ستَّ خصال من حيز أول دفعة من دمه يكفر بها عن ذنوبه، ويحلى عليه حلة الإيمان، ثم ينجو من العذاب، ثم يأمن من الفزع الأكبر، ثم

---

[1] الإمام النووي، **رياض الصالحين**، 396 .

[2] **مجلة مجاهد**، الجهاد الإسلامي، 12–13.

[3] الإمام النووي، **رياض الصالحين**، 403 .

[4] **النساء**: 96.

يسكن الجنة، ويزوج من الحور العين، وقد ورد هذا في حديث صحيح عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– هذا نصه" للشهيد عند الله سبع خصال، يغفر له من أول دفعة من دمه، ويرى مقعده في الجنة، ويحلى حلة الإيمان ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج من الوقار, الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويشفع في سبعين إنسانا من أهل بيته"[1].

حينما يخرج المسلم ليقاتل في سبيل الله بقصد إعلاء كلمة الله، وتمكين منهجه في الحياة، ثم يقتل، يكون شهيدا، وينال مقام الشهداء عند الله، وحينما يخرج لأي هدف أخر لا يسمى شهيدا ولا ينتظر أجره عند الله، بل عند صاحب الهدف الذي خرج من أجله ، والذين يصفونه حينئذٍ بأنه شهيد يفترون على الله الكذب، ويزكون أنفسهم أو غيرهم بغير ما يزكي به الله الناس، افتراء على الله، فليقاتل في سبيل الله، بهذا التحديد، من يريدون أن يبيعوا الدنيا ليشتروا بها الآخرة، ولهم فضل من الله عظيم في كلتا الحالتين سواء من يُقتَل في سبيل الله, أو من يَغلِب في سبيل الله أيضا[2]، يقول الله تعالى : " **فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** "[3].

ومن الحكم المستنبطة ما ذكره لنا ابن القيم بقوله[4] : " إن الشهادة عند الله من أعلى مراتب أوليائه، والشهداء هم الخاصة، والمقربون من عباده وليس بعد درجة الصديقين إلا الشهادة, وهو سبحانه يحب أن يتخذ من عباده

---

[1] رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة.

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن ، 707/2.

[3] النساء: 74 .

[4] ابن القيم , زاد المعاد , ج3 , 199 .

شهداء تراق دماؤهم في محبته ومرضاته، ويؤثرون رضاه على نفوسهم، ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط على العدو وقهره[1].

ويكشف القرآن عن مصير الذين يقتلون في سبيل الله حيث لن يضل أعمالهم، في مقابل ما جاء عن الذين كفروا إنه أضل أعمالهم، فهي أعمال مهتدية واصلة مربوطة إلى الحق الثابت الذي صدرت عنه، وانبعثت حماية له واتجاهها إليه، وهي باقية , و من ثم إن الحق لا يهدر ولا يضيع.

ثم نقف أمام هذه الحقيقة الهائلة، حقيقة حياة الشهداء في سبيل الله، فهي حقيقة مقررة من قبل في قوله تعالى : " **وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ**"[2]. ولكنها تعرض هنا عرضا جديدا، تعرض في حالة امتداد ونماء في طريقها الذي غادرت الحياة الدنيا وهي تسلكه وتتوخاه، طريق الطاعة والهداية والتجرد والنقاء، ويقول تعالى : " **سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ** "[3]. فالله ربهم الذي قتلوا في سبيله، يظل يتعهدهم بالهداية بعد الاستشهاد ويتعهدهم بإصلاح البال وتصفية الروح من بقية أوشاب الأرض، أو يزيدها صفاء لتتناسق مع صفاء الملأ الأعلى الذي صعدت إليه، وإشراقه وسناه فهي حياة مستمرة في طريقها لم تنقطع إلا فيما يرى أهل الأرض المحجوبون، وهي حياة يتعهدها الله ربها في الملأ الأعلى، ويزيدها هدى، ويزيدها صفاء، ويزيدها إشراقا، وهي حياة نامية في ظلال الله[4].

---

[1] محمد أبو فارس، **الابتلاء والمحن في الدعوات**, 193.

[2] **البقرة**: 154.

[3] **محمد**: 5.

[4] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 3287/6.

ويقول تعالى : "وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ"[1]. والحديث عن مقام الشهداء ورد مرات في القرآن، وتواترت به الأحاديث النبوية، فهذا الدين لا يقوم بغير حراسة، ولا يتحقق في الأرض بغير الجهاد، جهاد لتأمين الدعوة وحماية أهله من الفتنة وشريعته من الفساد، ومن ثم كان للشهداء في سبيل الله , وهم وحدهم الذين يسمون شهداء مقامهم، وكان لهم قربهم من ربهم، القرب الذي يعبر عنه بأنه – (عند ربهم)[2].

والشهداء ثلاثة أقسام شهيد في الأخر وشهيد في الدنيا فحسب وشهيد في الدنيا والآخرة حيث هو من قاتل الكفار لإعلاء كلمة الله وقتل في معركة بين المسلمين والكفار، سواء أكان القتال ببلاد المسلمين أو ببلاد الحرب, قال تعالى : "وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ"[3].

وهذا الشهيد هو الذي جاءت في حقه أحكام شرعية وهو مختص بمن قتل في حرب مع الكفار وكذلك من جرح في معركة ثم مات من جرحه الذي جرحه في المعركة فهو يعتبر كمن قتل في المعركة، أما عدا ذلك فلا يعتبر شهيدا، ولا من جرح في المعركة ثم شفي من جرحه ثم مات منه , فالشهيد له أحكامه الخاصة، والذي أخبر عنه الله تعالى أنه حيٌ مختص بمن قتل في معركة مع الكفار لإعلاء كلمة الله، ومن جرح في المعركة ثم مات من جرحه,

---

[1] **الحديد**: 19.

[2] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 3490/6.

[3] **آل عمران**: 169.

وحكم الشهيد المذكور لا يغسل ولا يكفن، بل يدفن في دمه وثيابه ؛ لأن الشهيد يبعث يوم القيامة ورائحة دمه كالمسك الأذفر[1]، روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة , وكلمه يَدْمَى : اللون لون دم , والريح ريح مسك"[2].

[1] تقي الدين النبهاني، **الشخصية الإسلامية**، 175/2.

[2] الإمام النووي، **رياض الصالحين**، 390 .

الباب السابع: (أعداء الله)

- ✓ الفصل الأول: **طبيعة الكافرين**

- ✓ الفصل الثاني: **ظاهرة التجسس**

الفصل الأول: طبيعة الكافرين

نداء إلى المؤمنين من ربهم الذين آمنوا به، يدعوهم باسم الإيمان الذين ينسبهم إليه يدعوهم ليبصرهم بحقائق موقفهم، ويحذرهم حبائل أعدائهم، ويذكرهم بالمهمة الملقاة عليهم وفي صورة يجعل عدوهم عدوه، وعدوه عدوهم فيُشعر المؤمنين بأنهم منه وإليه، يعاديهم من يعاديه، فهم رجاله المنتمون إليه الذين يحملون شارته في هذه الأرض، وهم أحباؤه، فلا يجوز أن يلقوا بالمودة إلى أعدائهم وأعدائه.

ويذكرهم بجريرة الأعداء عليهم وعلى دينهم وعلى رسولهم، وعدوانهم على هذا كلِّه في تجنٍّ وظلم، فماذا أبقوا بعد هذه الجرائر الظالمة للموالاة والمودة؟ كفروا بالحق، وأخرجوا الرسول والمؤمنين لا لشيء إلا لأنهم آمنوا بالله ربهم، إنه يهيج في قلوب المؤمنين هذه الذكريات المرتبطة بعقيدتهم، وهي التي حاربهم المشركون من أجلها، لا من أجل سبب أخر, ويبرز القضية التي عليها الخلاف والخصومة والحرب، فهي قضية العقيدة دون سواها، قضية الحق الذي كفروا به والرسول الذي أخرجوه، والإيمان الذي من أجله أخرجوهم.

وإذا تمحصت القضية وبرزت، ذكّرهم بأنه لا محل إذاً للمودة بينهم وبين المشركين إن كانوا قد خرجوا من ديارهم ابتغاء رضوان الله وجهادا في سبيله، فما يجتمع في قلب واحد أن يهاجر جهادا في سبيل الله ابتغاء مرضاته، مع مودة لمن أخرجه من أجل إيمانه بالله، وهو عدو الله وعدو رسول الله.

ثم يحذرهم تحذيرا خفيا مما تكمن قلوبهم، وما يسرون به إلى أعدائهم وأعداء الله من المودة، وهو مطّلع على خفية القلوب وعلانيتها، ثم يهددهم تهديدا مخيفا، يثير في القلب المؤمن الوجل والمخافة، وهل يخيف المؤمن أكثر ما يخيفه أن يضل سواء السبيل بعد الهداية والوصول ؟ وهذا التهديد وذلك التحذير يتوسطان تبصير المؤمنين بحقيقة أعدائهم وما يضمرون لهم

من الشر والكيد، ثم تجيء البقية، فلا تعرض لهم فرصة يتمكنون فيها من المسلمين حتى يتصرفوا معهم تصرف العدو الأصيل، ويوقعوا بهم ما يملكون من أذى ومن تنكيل بالأيدي وبالألسن وبكل وسيلة وبكل السبل[1]، يقول تعالى : "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**"[2]

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 3541/6.

[2] **الممتحنة**: 1 .

الفصل الثاني: التجسس

جرت عادة المصنفين من العلماء أن يدرجوا الحديث عن الجاسوس في باب الجهاد وذلك لحكمة هامة وهي أن التجسس أبرز ما يكون في موضوع كشف عورات المسلمين لأعدائهم خاصة وقت نشوب الحرب.

والتجسس خيانة عظمى وكبيرة من الكبائر إذا فعله المسلم، وهو من صور موالاة الكفار التي يتراوح الحكم فيها بين الكفر المخرج من الملة إذا كان تجسسه حبا في انتصار الكفار وعلو شوكتهم على المسلمين، وبين الكبيرة من كبائر الذنوب إذا كان لغرضٍ شخصي أو دنيوي، أو جاه أو ما أشبه من ذلك، وقد حذر الله من ذلك في قصة حاطب بن أبي بلتعة – رضي الله عنه – .[1]

قال العلامة ابن القيم[2] : يؤخذ من هذه القصة الطويلة التي لا مجال لذكرها هنا بالتفصيل جواز قتل الجاسوس وإن كان مسلما، لأن عمر – رضي الله عنه– سأل رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قتل حاطب بن أبي بلتعة فلم يقل رسول الله – صلى الله عليه وسلم– : لا يحل قتله لإنه مسلم بل قال: وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر, فقال : اعملوا ما شئتم , فأجاب بأن فيه مانعا من قتله وهو شهد بدر، وفي الجواب بهذا كالتنبيه على جواز قتل جاسوس ليس له مثل هذا المانع[3]، وهذا مذهب مالك وأحد

---

[1] حاطب هو حاطب بن أبي بلتعة حليف قريش، وقيل هو حليف للزبير بن العوام، شهد بدرا والحديبية، مات سنة ثلاثين في المدينة وهو ابن خمس وستين وصلى عليه عثمان بن عفان_ رضي الله عنه_ وقد شهد الله لحاطب بالإيمان في سورة الممتحنة، بعثه رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ سنة ست من الهجرة إلى المقوقس صاحب مصر والإسكندرية، فأتاه من عنده بهدايا منها مارية القبطية.

[2] انظر , ابن القيم, الطرق الحكمية , 283 - 687 , القرطبي , الجامع لأحكام القرآن , ج20 , 396 .

[3] انظر , ابن تيمية , السياسة الشرعية , 115 - 116.

الوجهين في مذهب أحمد، وقال الشافعي وأبو حنيفة لا يقتل وهو ظاهر مذهب أحمد، والفريقان يحتجان بقصة حاطب[1].

والصحيح أنَّ قتله راجع إلى رأي الإمام فإنْ رأى في قتله مصلحة للمسلمين قتله، وإن كان استبقاؤه أصلح استبقاه والله أعلم[2].

والتجسس هو الاطلاع على عورات المسلمين وإيصال أخبارهم للعدو، ويرى الإمام مالك وابن عقيل من أصحاب الإمام أحمد[3]، أن الجاسوس المسلم يقتل اجتهادا إذا عظم ضرره ويحتجان بأن الرسول – صلى الله عليه وسلم– أقرّ عمر على إرادة قتل حاطب بن أبي بلتعة لإيصاله أخبار المسلمين إلى العدو لولا المانع و بينه، وهو كون حاطب شهد بدرا وهكذا متعذر في غيره، فلو كان الإسلام مانعا من القتل لما علل بأخص منه.

وانفرد من المالكية ابن القاسم وسحنون بالقول[4] بأن الجاسوس المسلم يقتل حدا؛ لأن التجسس ردة والجاسوس مرتد لقوله تعالى : "**وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ**"[5]. وإلى قتل الجاسوس ذهب ابن القيم [6]من متأخري الحنابلة دون التعرض لإيمانه أو عدمه.

أما الأئمة الثلاثة أبو حنيفة والشافعي[7] وأحمد، فقد ذهبوا إلى أن التجسس لا يزيل أصل الإيمان، لذا منهم يقولون بتعزير الجاسوس على ألا تبلغ العقوبة حد القتل وقد لخص ابن حجر الهيتمي آراء الفقهاء المسلمين في

---

[1] ابن القيم , زاد المعاد , ج2 , ص170 .

[2] محمد القحطاني، الولاء والبراء، 300-301.

[3] ابن تيمية , السياسة الشرعية , ص115 , القرطبي , الجامع لأحكام القرآن , ج18 , ص50-53 .

[4] ابن فرحون اليعمري , تبصرة الحكام , ج2 , ص143.

[5] المائدة: 51 .

[6] ابن القيم , الطرق الحكمية , 156 , و زاد المعاد ,ج2 , 170 .

[7] انظر الشافعي , الأم , ج5 , ص513 – 610 .

التجسس فقال: إن ترتب من الدلالة على عورات المسلمين، وهن للإسلام أو لأهله أو قتل أو سبي أو نهب كان ذلك من أعظم الكبائر وأقبحها، لأنه سعى في الأرض فسادا وأهلك الحرث والنسل فمأواه جهنم وبئس المهاد وقال بعضهم : يتعين قتل فاعل ذلك ، وهذا والله أعلم وأحكم[1].

ألاحظ أن جريمة التجسس وأثارها لا تقتصر على جانب واحد أو جماعة، بل إنها تعرض البلاد جميعها لأفدح الأخطار بل للدمار والضياع، فوجوب قتل الجاسوس سياسة شرعية أخذت مما قرره الفقهاء في جرائم عناصر الشر المشار إليها، وهو أمر لا يمكن أن يكون محل تردد وإنما إتباعا لقوله تعالى : " **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** "[2].

وقد اختلف المفسرون[3] والفقهاء في هذه الآية في موضعين الأول: في معنى محاربة الله ورسوله هل هي المجاهرة بقطع الطريق وإخافة الناس وإظهار الفساد في الأرض، وإن لم يحدث قتل ولا سلب؟, و الثاني: في العقوبات الواردة في هذه الآية وهي القتل والصلب والقطع والنفي هل هي على سبيل التخيير؟ يفوّض الأمر في إيقاعها إلى رأي الإمام واجتهاده يوقع في كل حالة ما يناسبها، أو هي على سبيل الترتيب والتوزيع ,القتل جزاء القتل والقطع جزاء أخذ المال , والقتل والصلب جزاء الجريمتين وهكذا[4].

---

[1] سعيد الجزائري، **المخابرات والعالم**، 520/1.

[2] **المائدة**: 33.

[3] انظر محمد بن جرير,تفسير الطبري , ج10,ص243,الفخر الرازي,التفسير الكبير,ج11, ص214 , عبد العزيز الحميدي,تفسير ابن عباس,ص331.

[4] سعيد الجزائري، **المخابرات والعالم**، 519/1.

وظاهرة العمالة من أسوأ إفرازات الاحتلال، ومن أخطر الظواهر وأشدها سلبية وأكثرها ألما على المجتمع , فليس أخطر من أن يكون عدو الأمة من داخلها، يتكلم بلغتها ويعرف حركاتها وسكناتها ثم يكون للمحتل عينا يبصر بها وأذنا يسمع بها ورجلا يتحرك بها، ويدا يبطش بها، لا شيء أسوأ من الخيانة، إنها كسكين جارحة تقتطع من جسد الأمة وتنهش منه بهدوء، أو كمرض خبيث يتسلل إلى الجسم ويبدأ يحطمه شيئا فشيئا، ولا يكتشف إلا بعد أن يستفحل ويصبح عضالا، وعندها الاستئصال مؤلم والإبقاء أشد ألما.

وليس أشد وقعا على المجاهد من طعنة غادرة ثانية تأتيه من الخلف، وممن يحب من أبناء أمّته الذي يقدم روحه وما ملكت يداه من أجل عزتهم وكرامتهم، أو من صديق مقرب إليه أمّنه على سره, وأفضى إليه بما في صدره، ليسلمه بعد ذلك إلى العدو بثمن بخمس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين.

وما من مصيبة أعظم من أن يأتي نذل حثالة نكرة، ذيل مخنث ليس فيه من سمات الرجولة شيء، ليقضي على أمة بأكملها في أحب أبنائها إليها[1].

---

[1] محمود عيسى، **المقاومة بين النظرية والتطبيق**, 420.

الخاتمة

لعل ارتباك الواقع المعاش تحت سياط الجلاد حملني إلى تلك الكلمات التي عبرت عنها في هذا المؤلَّف المتواضع، والذي سلكته وخططته في غياهب سجون الاحتلال؛ حيث المعاناة التي أثخنت جراحات القلوب وهواة الفكر العميق، لينضب بالعطاء المتدفق باللون القاني على وريقات العلم الساطع في ركب هذه العقيدة السمحة، سجيت الكلمات واتعظت بآيات سماوية، لتكون نبراس البحث وعنوان المرحلة.

وكان العمل المتفاني متلفعا بالهدي الرباني حيث يقول: "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون"، حيث وضعتُ نصب عيني كتابة هذا العمل رغم صعوبات السجن وفتات الفكر المصبوب على أمل الحرية والعودة إلى رياحين الوطن وشواطئه وجباله الراسيات.

بدأت الكلمات بتحد صارخ لكل الجنود الذين رفضوا لنا دون ذلك إلا أن صميم المعركة كان مسلحا بصوّانة الإيمان وحتمية النصر أو الشهادة.

كانت الألفاظ موجه إلى تلك الحشود البشرية بالخروج قبل قدوم المعركة، فتكون الحاسمة بالهزيمة للعدو والنصر لفلسطين وأهلها، لأن هديرها سيقطع الظلم وأهله من أرض أبت أن تحمل نجاسة جلودهم وصهينة فكرهم الفاشي.

والله القاهر فوق عباده يهدي من يشاء وينصر عباده وجنده المؤمنين.

قائمة المصادر و المراجع ,

1. القران الكريم
2. آبادي , شرف الحق العظيم, عون المعبود على سنن أبي داوود, حققه أبو عبد الله النعماني, دار ابن حزم, ط 1 ,2005م.
3. أبو بكر , عبد الله بن محمد أبي شيبه, مصنف ابن أبي شيبه , تحقيق محمد عوامة, دار القبلة , مؤسسة علوم القران, ط1, 2006م.
4. أبو فارس, محمد عبد القادر، الابتلاء والمحن في الدعوات، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن- عمان 1998م.
5. الألوسي, شهاب الدين محمود , روح المعاني , دار أحياء التراث العربي, بيروت , لبنان.
6. البخاري , محمد بن إسماعيل , صحيح البخاري , دار ابن كثير ,اليمامة بيروت, ط 3 , 1987م.
7. البخاري, محمد بن إسماعيل, صحيح البخاري, تحقيق مصطفى ديب البغا, دار ابن كثير,اليمامة للطباعة والنشر , ط5,دمشق, بيروت, 1993م .
8. البنا، حسن، مجموعة الرسائل، مؤسسة الرسالة، بيروت، شارع سوريا.
9. ابن تيمية , أحمد بن عبد الحليم , السياسة الشرعية , وزارة الشؤون الإسلامية , ط1 , السعودية , 1998م,
10. ابن تيمية , أحمد بن عبد الحليم , السياسة الشرعية , تحقيق علي العمران , دار عالم الفوائد , ط1 , 1429هـ .
11. ابن قدامة , عبد الله بن محمد , المغني , تحقيق عبد الفتاح الحلو ,عبد الله التركي , دار عالم الكتب , ط3 , الرياض , 1997م .
12. ابن القيم , محمد بن أبي بكر , أحكام أهل الذمة , تحقيق يوسف البكري و شاكر العاروري , رمادي للنشر , ط1 , الدمام , 1997م .
13. ابن القيم , محمد بن أبي بكر , زاد المعاد , تحقيق شعيب الأرناؤوط , مؤسسة الرسالة , ط3 , بيروت – لبنان , 1998م .

14. ابن القيم الجوزية, محمد بن أبي بكر, الطرق الحكمية في السياسة الشرعية, تحقيق نايف بن أحمد, دار عالم الفوائد.
15. ابن كثير, إسماعيل بن عمر, تفسير ابن كثير, دار المعرفة, ط1, بيروت, لبنان,1983م.
16. ابن كثير , إسماعيل بن عمر , تفسير القرآن العظيم , تحقيق سامي السلامة , دار طيبة للنشر , ط2 , الرياض – السعودية , 1999م .
17. ابن كثير, إسماعيل بن عمر, عمدة التفسير, تحقيق أحمد شاكر, دار الوفاء, ط2, 2005 م.

18. البوطي، محمد، فقه السيرة, دار الفكر، بيروت– لبنان, 1994م.
19. الترمذي, محمد بن عيسى, سنن الترمذي , تحقيق محمد ناصر الألباني,ط1 , مكتبة المعارف 1998م.
20. الجزائري, جابر، منهاج المسلم، دار الفكر، 1964م.
21. الجزائري، سعيد، المخابرات والعالم، مكتبة النوري, ط4.
22. حمدان، أسامة، العمليات الاستشهادية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين.
23. الحميدي , عبد العزيز بن عبد الله, تفسير ابن عباس , جامعة أم القرى , السعودية .
24. حوى، سعيد، جند الله، دار عمار، بيروت– لبنان, 1988م .
25. حوى، سعيد، الرسول(ص)، دار السلام، ط ا، حلب – بيروت، 1986م.
26. الدمياطي, أحمد بن إبراهيم الدمشقي, تهذيب كتاب مشاريع الأشواق، دار النفائس، ط1، الأردن.
27. الرازي, الفخر, التفسير الكبير, دار الكتب العلمية , ط2 , طهران.
28. السجستاني, أبو داوود سليمان بن الأشعث, سنن أبي داوود , تحقيق شعيب الأرناؤوط, دار الرسالة العالمية,ط1 , 2009م.
29. الشافعي , محمد بن إدريس , الأم , تحقيق رفعت فوزي , دار الوفاء , ط1 , المنصورة , 2001م .

30. الشوكاني، محمد ابن علي، نيل الأوطار، المكتبة التوفيقية.
31. الصابوني، محمد علي, صفوة التفاسير، دار التراث، القاهرة ،1976م.
32. الصابوني , محمد علي , صفوة التفاسير, دار الأفق , بيروت – لبنان , ط1 ,2004م .
33. الطبراني , سليمان بن أحمد , المعجم الأوسط , تحقيق طارق بن عوض وعبد المحسن الحسيني , دار الحرمين , ط1 , 1995م .
34. الطبري, محمد بن جرير, تفسير الطبري, تحقيق محمود شاكر, دار المعارف , مصر.
35. عبد الغني, علي حسن, تفسير ابن جريح, مكتبة التراث الإسلامي, ط 1 , القاهرة, 1992م.
36. العمري أكرم, السيرة النبوية الصحيحة, محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية, مكتبة العلوم و الحكم, ط 6, 1994م.
37. عيسى، محمود، المقاومة بين النظرية والتطبيق, منشورات المركز الفلسطيني للإعلام.
38. الغضبان، منير ، المنهج التربوي للسيرة النبوية، مكتبة المنار, ط1, الزرقاء– الأردن ,1991 م.
39. الغضبان منير, فقه السيرة النبوية, جامعة أم القرى , ط2, 1992م.
40. القحطاني، محمد بن سعيد، الولاء والبراء في الإسلام, دار الصفوة، 1402هـ.
41. القرضاوي، يوسف، فتاوى معاصرة, دار أولي النهى, ط1. بيروت– لبنان.
42. القرضاوي, الحل الإسلامي فريضة وضرورة, مؤسسة الرسالة, بيروت– شارع سوريا, 1974م.
43. القرطبي , محمد بن أحمد , الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي), تحقيق عبد الله التركي , مؤسسة الرسالة , ط1 , بيروت – لبنان , 2006م .
44. القرني، عائض، سلعة الله غالية، دار ابن حزم, ط1, بيروت– لبنان, 2003م.
45. قطب، سيد، في ظلال القران، دار الشروق , الطبعة الشرعية الأولى، القاهرة, 1972م.

46. قطب، سيد, معالم في الطريق, دار الشروق.
47. الكيلان، إبراهيم، وآخرون, دراسات في الفكر العربي الإسلامي, دار الفكر, ط8, عمان, 1998م.
48. اللجنة الدائمة للبحوث العلمية و الإفتاء, جمع و ترتيب أحمد عبد الرازق الدويش, دار المؤيد للنشر و التوزيع , الرياض , ط1, 1424 هـ.
49. مشهور، مصطفى، بين القيادة والجندية, على طريق الدعوة, دار الدعوة للطباع والنشر والتوزيع.
50. النبهاني، تقي الدين، الشخصية الإسلامية, دار الأمة , ط3، بيروت – لبنان ، 1994م.
51. النسائي, أحمد بن شعيب, السنن الكبرى , تحقيق عبد الغفار سليمان, دار الكتب العلمية, ط1, بيروت – لبنان , 1991م.
52. النووي، الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف، رياض الصالحين، تحقيق محمود المصري, مكتبة المجلد العربي, ط1، القاهرة، شارع جوهر القائد أمام جامعة الأزهر بالحسين، 2000م.
53. النووي , الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف , رياض الصالحين , تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف , راجعه شعيب الأرناؤوط , دار المأمون للتراث, ط13, دمشق , 1992م ,
54. النيسابوري أبو عوانة , يعقوب بن إسحاق , مسند أبي عوانة , حققه أبو علي النظيف , دار الكتب العلمية , بيروت – لبنان , 1971 م .
55. النيسابوري, محمد بن إسحاق , صحيح ابن خزيمة , تحقيق محمد الأعظمي, المكتب الإسلامي, 1980م.
56. النيسابوري, مسلم بن حجاج ,صحيح مسلم, تحقيق نظر بن محمد الفاريابي, ط1 , دار طيبة, 2006م,
57. الياسين، جاسم بن محمد بن مهلهل، للدعاة فقط، دار الدعوة، الطبعة الأولى 1984م.

58. الياسين، القيادة بين الأسباب الذاتية للتنمية القيادية، دار الدعوة، ط1، الكويت، 1988م.
59. اليعمري , إبراهيم شمس الدين بن فرحون , تبصرة الحكام , تحقيق جمال مرعشلي , دار عالم الكتب , الرياض – السعودية , 2003م .
60. يكن، فتحي، أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي, مؤسسة الرسالة,1981م.

قائمة المراجع ,

61. جريدة الأخوان المسلمين , العدد (17) , 1934م .
62. المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، ط36, بيروت، 1997 م.
63. المعجم الوسيط، أخرجه إبراهيم مصطفى، وآخرون، المكتبة الإسلامية, ط1,إسطنبول, تركيا, 1996م.
64. مجلة المجاهد، إصدار الجهاد الإسلامي.

تم بحمد الله